روايات مصرية للجيب

سلسلة نوفا
للخيال العلمي

21

أبناء الشمس

رءوف وصفي

Looloo
www.dvd4arab.com

مقـدمة

الكون بحر أبدى .. لا نهائى .. تبحر فيه أعداد هائلة من النجوم والكواكب .. بعضها له سرعة الشهب .. والأخرى تتحرّك بجلال وخلود ..
وحتى نتمكّن من الدخول إلى هذا العالم العلوى غير المنظور ، يجب أن نفتح عقولنا ، حتى تتسع لكل ما لم نكن نصدّقه من قبل ..
أعدادها هائلة ، مجموعات خيالية ، ومتنوّعة من الأجرام السماوية ..
اتساع لا حدود له للدوّامة الكونيّة ..
يجب أن ننسى السرعات والمسافات المألوفة لنا فى محياتنا الأرضية ..
علينا أن نلقى بثوانينا ، سنواتنا وحتى بأعمارنا كلها ، كوحدات لقياس السرعة والزمن ..
يجب أن نفكر بدلالة خمس عشرة ألف مليون عام ، وهو عمر الكون ..
نفكر بمقياس اللانهاية .. كعمق للكون ..
علينا أن نسمح لأفكارنا أن تتعلق بشعاع الشمس الباهر ..
أو بضوء نجم متألق .. يبعد عنا بملايين الملايين من الكيلومترات ..
على أفكارنا أن تمرق بسرعة الضوء الهائلة ..
عليها أن تبحر .. وتسافر .. وتنطلق .. لتصل إلى المدى الذى لم تبلغه العين البشرية من قبل ..
فإذا سمحنا لعقولنا .. لخيالنا .. أن ينطلق بلا حدود ، فإننا عندئذ نبدأ فى تصوُّر لجزء من المشهد المجسم الرائع ، الذى نسمّيه الكون ..
فمهما ترنّمنا بكلمات تعزف على قيثارة الغموض ..
أو دخلنا فى تفسيرات للمجهول .. تتعالى هائمة بين السحب ..
كل هذا يتبدّد تحت ضوء الإيمان المنبثق من عظمة وروْعة الكون ..
ويخضع العقل الإنسانى للقُدرة الإلهية .. كلما تطلع إلى السماء ..
ويستسلم تمامًا فى خشوع وتعبد ، لذلك النظام الرائع ، والتنسيق الإلهى الخالد .. لكل ذرّة فى الكون ..
وأيضًا للأسرار التى تهبط إلينا فى تؤدّة ..
وحكمة الخالق (سبحانه وتعالى) ..

رءوف وصفى

سلسلة **نوفا** للخيال العلمىّ

أبناء الشمس

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٨٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٧٧٠٠٢

كانت السفينة الفضائية صغيرة .. ومظلمة ..
ولا توجد أى عقبات أمامها ..
وهى تشق طريقها عَبْر أرجاء المجموعة الشمسية ..
كان منظرها تالفًا .. ومعطوبًا ..
وهيكلها المعدنى الفضى بدا متأثرًا ..
بالإشعاعات الغريبة ..
والشهب والنيازك الدقيقة ..
والأجواء العجيبة التى مرت بها السفينة الفضائية ..
لقد مرّ زمن طويل عليها ..
وخلاله سافرت إلى آفاق بعيدة .. فى اللا نهاية ..
وهى تقل طاقمها الصغير المكون من ثلاثة ..
فى سلسلة من الأسفار .. والمغامرات المثيرة ..
التى لا مثيل لها فى تاريخ الكون !
لقد حملتهم إلى مختلف أنواع المهالك ..
فى مواجهة كائنات غريبة ..
فى كافة أرجاء الكون ..
ذهابًا وعودة !
وحتى الرجل الطويل القامة .. الرياضى الجسم ..
الذى كان جالسًا أمام أجهزة قيادتها ..
لم يكن ليحلم بأنه الآن .. هنا داخل كابينته المألوفة ..

يتجه ناحية أكثر المغامرات التى خاضها فى حياته ..
غرابة وإثارة !

- ١ -

كان كابتن الفضاء (عادل أشرف) حزينًا ..
ليس بسبب الهواجس .. والتحذيرات المسبقة ..
ولكن بتأثير الندم ولوم النفس ..
وظهر القلق الدفين الذى شعر به ..
فى توتر عضلات وجهه ..
وفى شكل جسده المنكفئ إلى الأمام ..
وعينيه الرماديتين اللتين تبحثان بقلق ..
فى الأعماق الخفية للفضاء اللا نهائى ..
الذى يبدو على الشاشة الكبيرة ..
للكمبيوتر الرئيسى ..
كانت سفينة الفضاء داخل مدار عطارد ..
أقرب الكواكب إلى الشمس ..
إذ يبعد عنها نحو ٥٨ مليون كيلو متر فقط ..
ويدور حولها بسرعة كبيرة يبلغ متوسطها ٤٨ كيلو مترًا فى الثانية !
وملأ السماء بأكملها قرص الشمس الهائل ..
الذى يتوهج ككون من اللهب ..

يميزه ذلك التألق الإشعاعى الرهيب لإكليلها ..
الذى يرسل زوائده النارية الجبارة إلى الخارج ..

★ ★ ★

مسح كابتن الفضاء المنطقة بجوار حافة المدار الجبار ..
بوساطة أجهزة الاستشعار عن بعد ..
وبلغ قلقه .. وفقدان صبره .. حدًا لا يمكن تحمله ..
قال بلهجة شبه غاضبة :
ـ لماذا صمم د. (مدحت) على الذهاب إلى كوكب (زوما) ؟
أجابه صوت رنان واضح من وراء كتفه :
ـ لنفس السبب الذى ذهبت من أجله إلى (أندروميدا) .. إن دافعه هو رغبته فى استكشاف المناطق المجهولة فى الكون !
ردّ كابتن الفضاء مؤكدًا :
ـ إنه لم يكن ليذهب .. لو لم أخبره بكل شىء عن كوكب (زوما) .. إنها غلطتى يا (نبيل) !
ثم نظر الكابتن (عادل أشرف) إلى رفيقه ..
لكنه لم يشاهد شيئًا غريبًا ..
فى الصندوق المربع المعدنى الصغير ..
الذى يحلق على الأشعة الكهرومغناطيسية ..
ويضم العقل الحى لذلك الرجل ..
الذى كان اسمه (نبيل) ..

هذا الصوت الأجش غير الطبيعى ..
علمه أولى كلماته ..
هاتان العينان اللتان تشبهان العدستين ..
طالما راقبتا تعثره ..
فى أثناء أولى محاولاته المشى .. وهو طفل ..
فوق سطح قمر الأرض !
وهاتان الأذنان الحساستان المعدنيتان ..
طالما استمعتا لبكائه وهو طفل صغير ..
لا حول له .. ولا قوة ..
قال كابتن الفضاء بصوت مفعم بالحزن :
ـ (نبيل) ! هل تظن أن د. (مدحت) قد مات ؟
رد الكمبيوتر الطائر مؤكدًا :
ـ التخمين لا يجدى نفعًا يا كابتن (عادل) ! فقط يمكننا أن نحاول العثور عليه !
أجابه كابتن الفضاء بتصميم قوى :
ـ لا بد أن نعثر عليه ! لقد ساعدنى عندما احتجت إليه .. وكان صديقى ..
صديق !
إن هذا الرجل الذى تسميه المجموعة الشمسية ..
كابتن الفضاء ..

لم يكن له سوى حفنة من الأصدقاء المقربين ..
ودائمًا كان يعيش فى ظل وحدة قاسية ..
هى التركة التى لا مهرب منها ..
من طفولته العجيبة !
فقد نشأ يتيمًا ..
وشب حتى طور الرجولة على القمر المهجور للأرض ..
وليس معه أى مخلوق ..
سوى الكمبيوتر الطائر (نبيل) .. والروبوت (فهد) ..
كانا مدرسيه .. ورفيقىْ لعبه ولهوه .. صديقيه ..
اللذين لا يمكن الانفصال عنهما ..
ومن واقع هذه الظروف الغريبة ..
لا شك أن (عادل أشرف) .. كان دائمًا ..
أعجوبة جنسه .. التى لا نظير لها ..
وقليل جدًا من الناس ..
استطاعوا تكوين صداقة مع كابتن الفضاء ..
وكان د. (مدحت) واحدًا منهم ..
قال الكابتن (عادل) وهو يفكر بعمق ..
ـ لو كنت هنا .. لما تركته يذهب أبدًا !

★ ★ ★

تفرغ عالم الفلك د. (مدحت شوقى) تمامًا ..
لدراسة أسرار الكويكب الغريب (زوما) ..
الذى اكتشفه كابتن الفضاء ورفيقاه ..
واستأجر سفينة أبحاث فضائية ..
ذات أجهزة مقاومة للحرارة الشديدة ..
لتأخذه إلى كويكب (زوما) ..
مع عمل الترتيبات اللازمة لرجوعها إليه هناك ..
بعد ستة أشهر !
لكن عندما عادت سفينة الفضاء ..
لم تجد أىَ أثر للدكتور (مدحت) فى المدينة المحطمة ..
التى كانت مركزًا لعملياته فوق كويكب (زوما) ..
وبعد بحث عقيم عادت أدراجها ..
حاملة خبر اختفائه !
وقد حدث كل هذا .. قبل عودة كابتن الفضاء .. والكمبيوتر الطائر .. والروبوت (فهد) ..
من رحلتهم التاريخية إلى مجرة (أندروميدا) ..
والآن يقود كابتن الفضاء سفينته نحو الشمس ..
متجهًا إلى كويكب (زوما) لحل اللغز الغامض ..
الذى يحيط باختفاء عالم الفلك د. (مدحت شوقى) !

ـ ٢ ـ

وفجأة من وراء الباب الحاجز ..
بغرفة القيادة ..
ارتفع صوتان .. أحدهما مرتفع .. مدوٍ ..
والآخر ضعيف ومؤثر .. وذو صفير غريب ..
كانا فى ثورة عارمة ..
استدار كابتن الفضاء بحدة وقال لهما :
ـ (نبيل) ! (فهد) ! أوقفا هذا التشاحن السخيف ! والأجدر بكما أن تصلحا أجهزة مقاومة درجات الحرارة اللافحة .. وإلا تحمصنا جميعًا كالخبز !
انفتح الباب ودخل الروبوت (فهد) ..
بجسده المعدنى العملاق ..
وعينيه المتألقتين الثاقبتين ..
اللتين فيهما غرابة محيرة !
قال الروبوت بهدوء :
ـ هدئ من روعك ! إن وحدة مقاومة الحرارة اللافحة تعمل بالفعل !
نظر كابتن الفضاء إلى شاشة الكمبيوتر الضخمة ..
وشاهد آفاق الكون المتوهجة ..
وارتعد بدنه وهو يقول :

ـ لقد أصبحت متوترًا أنا الآخر .. من جرّاء التحرك حول الشمس بمثل هذا القرب !
أومأ الروبوت (فهد) برأسه الضخم ..
فقد كان كابتن الفضاء على حق ..
فالذهاب والتجول بين الكواكب ..
وحتى بين النجوم ..
أمر يختلف عن الاقتراب من الشمس ..
ومدار كوكب عطارد ..
كان حدًا .. وحاجزًا ..
للطاقة الرهيبة للأشعة فوق البنفسجية للشمس ..
ولا يمكن إلا للسفن الفضائية المزودة بأجهزة مقاومة الحرارة الشديدة .. أن تجرؤ على الدخول فى منطقة القوة الهائلة .. والإشعاع الجبار ..
ومع هذا فهى لا تزال معرضة لخطر داهم !

★ ★ ★

وقف الروبوت (فهد) بجانب كابتن الفضاء ..
يحدق فى شاشة الكمبيوتر ..
وجسمه المعدنى الضخم .. يلوح فوق أجهزة القيادة ..
عبقرية علمية هى التى صنعت هذا العملاق الحديدى ..

ووهبته ذكاءً صناعيًا ..
وقوة .. وتحمل ما يتجاوز إمكانيات أى إنسان مهما كان ..
حدقت عينا (فهد) الكهروضونيتين بثبات ..
فى اللهب المتراقص الرهيب ..
الناتج من عمليات الاندماج النووى ..
فوق سطح الشمس ..
قال (فهد) متعجبًا :
ـ كابتن (عادل) ! إننى لا أدرى سر عصبيتك !.. فالشمس لا تضايقنى قط !
ثم ثنى ذراعيه الضخمتين اللامعتين ..
وأردف قائلاً :
ـ ... بل إننى أشعر بالارتياح لها !
حوّم الكمبيوتر الطائر فوقهما وقال بلهجة بغيضة :
ـ (فهد) ! كفى غرورًا ! إنك سوف تحرق دوائرك الإلكترونية الحساسة !
ونحن لدينا أمور كثيرة نفعلها أفضل من محاولة إلقاء أشلائك إلى الخارج ..
حيث النفايات الفضائية !
ثم استدار إلى كابتن الفضاء وقال له بجدية :
ـ إنك لم تتصل بكويكب (زوما) بعد !

فهز كابتن (عادل) رأسه وقال :
ـ لا .. ليس بعد !

★ ★ ★

الآن .. أحاطت هالة خافتة ذات قوة ضبابية ..
بالسفينة الفضائية الصغيرة .. (الشهاب) ..
وهى ماضية فى طريقها ..
إنها الوحدة المضادة للحرارة الشديدة ..
كانت تصل بسرعة إلى أقصى قدرة لها ..
والحرارة الرهيبة للشمس .. يمكنها أن تخترق الفضاء فقط ..
كذبذبات إشعاعية ..
والهالة التى ولّدتها الوحدة المضادة لهذه الحرارة اللافحة ..
عملت كدرع .. لكسر وتشتيت معظم هذه الحرارة المشعة ..
لمس كابتن الفضاء زرًا ما ..
وسرعان ما انزلق عبر النافذة .. حاجز شبكى آخر !
ومع هذا فقد صبت الشمس إشعاعها المبهر ..
خلال جميع الحواجز الشبكية ..
وأخذت درجة الحرارة داخل السفينة الفضائية ..
ترتفع باضطراد ..
ولم تتمكن وحدات مقاومة الحرارة من تشتيت ..

كل حرارة الشمس الإشعاعية ..
ومن ثَمَّ نفذ جزء بسيط ..
لكنه كان كافيًا لجعل كابينة القيادة ..
فرنًا حاميًا !
ران على كابتن الفضاء صمت مشوب بالرهبة ..
وهو يحدّق فى النجم الجبار .. المتأجج ..
الذى ملأ تقريبًا كل القبة السماوية أمامه ..
قال كابتن الفضاء فى نفسه :
ـ لقد فكّر ساكنو الكواكب التسعة فى الشمس .. باعتبارها توفر لهم الحرارة والضوء والحياة .. لكن هنا تبدو على حقيقتها .. قلب خفاق يغلى من القوة الكونية .. الاندماج النووى !
كان بوسعه على هذه المسافة القريبة ..
أن يشاهد بوضوح الأعاصير العملاقة للّهب المتراقص ..
والدوّامات الجبارة ..
مجالات مغناطيسية .. وتيارات كهربية مروعة ..
عَبْر سطح هذا النجم الهائل !
تصبب العرق على وجه كابتن الفضاء ..
وشهق قليلاً ..
وأصبح تنفسه صعبًا ..

تساءل دون أن يدير رأسه :
ـ (نبيل) ! درجة الحرارة فى الداخل !
أجابه الكمبيوتر الطائر :
ـ خمسون درجة فقط .. أقل من حد الأمان .. ومضادات الحرارة الشديدة تعمل بأقصى طاقتها .. ولو كنا أخطأنا فى حساب مسارنا ..
قاطعه كابتن الفضاء بسرعة :
ـ إننا لم نخطئ ! وها هو ذا كويكب (زوما) أمامنا !
ظهر فى مجال الرؤية كويكب صغير ..
قمر شمسى ضئيل ..
وحيد .. غريب ..
مجرّد نقطة سوداء معلقة فى الفضاء ..
متدلية من الشمس التى تملأ السماء ..

★ ★ ★

قاد كابتن الفضاء السفينة (الشهاب) ..
إلى الأمام بكل قوتها ..
وكلما ازداد اقترابها من الشمس ..
تعاظم الخطر المحدق بها ..
فلو توقّفت مضادات السخونة ..
دقيقة واحدة ..

لاتصهر هيكلها ..
ومات كل من فيها !
رفع الروبوت (فهد) يده الضخمة فجأة ..
ليشير إلى الخارج .. صارخاً :
ـ انظروا ! أطفال الشمس !

ـ ٣ ـ

لقد سمعوا عن أسطورة أطفال الشمس ..
من قوم كويكب (زوما) ..
ولمحوا ذات مرة أحدهم من بعد ..
لكن هذين الاثنين كانا أقرب بكثير ..
ركز كابتن الفضاء بصره ..
على الوهج الشمسى ..
وأمكنه أن يرى بصعوبة ..
خيطين صغيرين دوّارين من اللهب ..
يتحرّكان بسرعة خاطفة ..
خلال الإشعاع المبهر للهالة الشمسية !
ثم اختفى السرابان المضيئان ..
فى التألق الهائل ..
وبحثت العيون عنهما .. دون جدوى ..
قال الكمبيوتر الطائر :

ـ ما زلت أعتقد أنهما خيطان من الهيدروجين المتوهج !
انفلتا من الشمس ثم رجعا إليها مرة أخرى !
لكن الروبوت (فهد) اعترض على ذلك بقوله :
ـ لكن أهل كويكب (زوما) أخبرونا أنها تسقط عليهم !
فكيف يمكن لمقادير ضئيلة من الغاز المتوهج .. أن تفعل ذلك ؟

★ ★ ★

لم يكن كابتن الفضاء ينصت لما يقال ..
فقد كان مشغولاً فى الانطلاق برشاقة بالسفينة الفضائية ..
(الشهاب) ..
حول كويكب (زوما) فى شكل حلزونى دقيق ..
لا يجرؤ سوى عدد قليل فقط من روّاد الفضاء ..
على السير فيه ..
وبينما كانت صواريخ فرامل السفينة تهدر كالرعد ..
أخذت تنطلق على ارتفاع منخفض ..
حول سطح الكويكب الصغير ..
الذى يتكون من صخور شبه منصهرة ..
وتراكمت الحمم الساخنة فى برك هائلة ..
كما تشكلت بحيرات ضحلة مشتعلة ..
بجوار التلال الصخرية التى يتصاعد منهما الدخان ..
وانطلقت النيران خارجة من الصخور ..

كما لو كانت الشمس المجاورة تناديهما !
جعل كابتن الفضاء السفينة (الشهاب) تحلق بميل ..
فوق حفرة غائرة تفغر فاها فى جانب الكويكب ..
ثم خفف من ضغط يده ..
على زر السرعة ..
وسرعان ما سقطت السفينة الصغيرة .. داخل الحفرة مباشرة ! التى كانت الطريق الوحيد إلى داخل الكويكب (زوما) المجوّف ..
إذ إنه عند ميلاده ..
أدت الغازات المحبوسة فى باطنه إلى تشكيل ..
قشرة مفرّغة من الداخل ..
وفى النهاية انفجرت هذه الغازات إلى الخارج ..
إثر زيادة الضغط الواقع عليها ..
وشقت طريقها إلى السطح الخارجى !

★ ★ ★

غطست السفينة (الشهاب) بثبات ..
داخل الهوة العميقة ..
ومع هذا دخلتها حزمة ضخمة من ضوء الشمس ..
وفجأة اتسعت الحفرة إلى فراغ كبير ..
أضاءته على استحياء هذه الحزمة الضوئية ..

وسرعان ما سقطت السفينة الصغيرة داخل الحفرة مباشرة ..

التى تسللت إلى داخل الكويكب المفرغ !

قال الكمبيوتر الطائر :

ـ إننى سعيد أن أكون هنا خارج الإشعاع الشمسى ! لكن أين نحن الآن ؟

تساءل كابتن الفضاء ، قائلاً :

ـ الأطلال القريبة من البحيرة الصفراء .. أليس كذلك ؟

فأجابه الصوت الرنان للروبوت (فهد) :

ـ أجل ! إنــه نفس المكان الذى تركـت فيـه سفينة الفضاء د. (مدحت) ..

ثم عادت إليه ولم تجده !

إن كابتن الفضاء ورفيقيه .. كانا هنا داخل (زوما) ..

ذات مرة من قبل ..

لكنهم شعروا مرة أخرى بغرابة .. هذا الكويكب العجيب فى المجموعة الشمسية ..

بينما كانت السفينة (الشهاب) تطير منخفضة ..

فوق سطحه الداخلى !

حيث امتد مشهد متسع غريب ..

من أدغال نباتات هائلة ..

وضباب يحجب الرؤية ..

والأفق يختفى عن الأنظار ..

فى قوس يتجه إلى أعلى ..

وفوق رءوسهم انتشر ضباب الفراغ المركزى للكويكب ..

الذى يقطعه تمامًا السهم الجبار المتلألئ ..

لحزمة ضوء الشمس العملاقة !

★ ★ ★

وبينما انقضت السفينة (الشهاب) بميل فوق الغابة ..

ناحية وجهتهم التى يقصدونها ..

خيَم على كابتن الفضاء شعور بالكآبة ..

إذ مرّت شهور منذ اختفى د. (مدحت) هنا ..

وتساءل الكابتن (عادل) :

ـ ترى هل عاش العـالم الفلكى .. طـوال هذه المـدة بمفرده على هذا الكويكب المهجور ؟

ظهرت تحتهم مدينة لم يبق منها سوى أطلالها ..

التى ابتلعتها تقريبًا الغابات العملاقة ..

لكن بعض شتات الأحجار المحطمة ذات الأبعاد الضخمة ..

ما زالت تتحدث عن العصور السحيقة ..

التى مرّت منذ سنوات طويلة ..

كان ذلك أشبه بحطام السفينة المفقودة فى البحر ..

التى تظهر فجأة من أعماق الماضى !

★ ★ ★

استقرت السفينة (الشهاب) فوق رصيف متشقق ..
محاط بأعمدة هائلة متداعية ..
ثم خرج كابتن الفضاء ورفيقاه إلى الهواء الضبابى ..
قال الكابتن (عادل أشرف) بصوت خفيض :
ـ هنا كان على د. (مدحت) أن يقابل السفينة عندما تأتى ..
لكنه لم يكن موجودًا هنا !
ألقى الصمت الثقيل الذى ران عليهم ..
ظلا من الحزن ..
لذكرى فقد عزيز !
نظروا إلى الصخور الجبارة المحطمة ..
التى هى كل ما تبقى من مدينة الإمبراطورية القديمة ..
هذه الحضارة الهائلة التى شيدها الإنسان ..
فى قلب مجرة (الطريق اللبنى) منذ عهد طويل ..
وعلى كواكب كل نجم ..
أقيمت مدنها وآثارها ..
ثم اندثرت تمامًا بحيث لم يبق للإنسان أى ذكرى بها ..
حتى عاد كابتن الفضاء والكمبيوتر الطائر والروبوت (فهد) ..
يبحثون فى تاريخ الكون !
ومنذ عهد طويل .. جاءت السفن الفضائية الجبارة ..
من الإمبراطورية المسيطرة على النجوم ..

لاستعمار كويكب (زوما) المجوّف !
وهنا عاش رجال ونساء متمتعين بقدرات العلم الجبارة ..
فى ظل أساطير تثير البهجة .. والفخر ..
من الانتصارات الكونية الباهرة ..
عاشوا .. وأحبوا .. ثم ماتوا ..
لكن الإمبراطورية الفضائية سقطت .. واندثرت مدنها ..
وأصبح الآن سلالة من عاشوا فيها ..
من الهمج والمتوحشين !

★ ★ ★

قال كابتن الفضاء :
ـ أول شىء علينا عمله هو الاتصال بأهل كويكب (زوما) ..
ومعرفة ما لديهم من معلومات عن د. (مدحت) !
وقف الروبوت (فهد) ورأسه المعدنى يدور :
وهو ينظر فى الأطلال من حوله ..
قال :
ـ لا يوجد أى أثر لهم هنا .. لكن هؤلاء البدائيين دائمًا يشعرون بالخجل !
ردّ عليه كابتن الفضاء قائلاً :
ـ سوف نبحث أولاً عن أى أثر للدكتور (مدحت) هنا !
بدأ الثلاثة بحثهم بين الأطلال ..

كابتن الفضاء .. والكمبيوتر الطائر .. والروبوت ..
شعر الكابتن (عادل) بالكآبة الطاغية لهذا المكان ..
الذى كان يعج بالانتصارات فيما مضى ..
وهو ينظر إلى النقوش المحفورة باللغة القديمة ..
بعمق فى الصخور الضخمة ..
كان بوسعه قراءة هذه الكتابات العتيقة ..
التى تتمثل فى الأساطير المبهجة لانتصارات ..
طواها النسيان !
وبينما كان كابتن الفضاء يقرؤها ..
شعر بحزن شديد إزاء أعظم مآسى المجرة ..
سقوط الإمبراطورية الفضائية القديمة !

★ ★ ★

انتشله من شرود ذهنه ..
الصوت الرنان الحاد للكمبيوتر الطائر :
ـ كابتن (عادل) ! انظر هناك !
أسرع كابتن الفضاء الخطى ..
إلى حيث يحوّم الكمبيوتر الطائر بجانب أحد المسلات العملاقة ..
وتساءل فى قلق :
ـ هل وجدت أى أثر ؟

أجاب الكمبيوتر الطائر بسرعة :
ـ انظر إلى هذا النقش ! إنه باللغة القديمة .. لكنه محفور حديثًا !
اتسعت عينا كابتن الفضاء فى دهشة ..
بدا هذا صحيحًا ..
فعلى هذه المسلة .. وبارتفاع نحو متر من أرض الكويكب ..
كانت هناك عبارات منحوتة بالأزميل ..
وباللغة القديمة التى هُجرت منذ دهور مضت ..
لكن الحروف كانت جديدة .. وبحالتها تقريبًا ..
ولم تعصف بها الرياح إلا قليلاً .
قال كابتن الفضاء ونبضه يرتفع فجأة :
ـ حفرت هذه العبارات منذ أقل من عام واحد !
تريث للحظة ثم أضاف قائلاً :
ـ ... و د. (مدحت) كان يعرف اللغة القديمة ! لقد جعلنى أعلمه إياها .. هل تتذكر ؟
قال الروبوت (فهد) مندهشًا :
ـ هل تقصد أن د. (مدحت) .. حفر هذه العبارات ؟
رد كابتن الفضاء على الفور :
ـ أجل !
قال الكمبيوتر الطائر :

ـ إذن اقرأها !

وقرأ كابتن الفضاء العبارات بصوت عالٍ :

ـ إلى كابتن الفضـاء .. إذا قدّر لك أن تصل إلى هنـا ! لقد اكتشفت سرًا غامضًا لا يُصدّق .. أعجب شكل من الحياة يمكن تخيله .. ومخاطر هذا السر هائلة .. لدرجـة أننى سوف أبادر باستقصائها .. وسبر كنهها .. وإذا لم أرجع لتحذر ولتعلم أن القلعـة القديمـة التى وراء الغابـة .. بها مفتـاح طاقـة مذهلـة لا نظير لها !

ـ ٤ ـ

بعد أن تبدّد صوت كابتن الفضاء ..

نظر الثلاثة كلٌ إلى الآخر ..

فى دهشة عجيبة ..

وتدلّت أشجار الغابة الكثيفة .. فى سكينة ..

وسقط عليها الضوء الغريب ..

فوق الأقواس المحطمة .. والأعمدة المنهارة ..

وفجأة .. فى مكان ما بين الأدغال ..

صرخ وحش مجهول ..

بصوت عالٍ حادّ !

قطع الروبوت (فهد) الصمت بقوله :

ـ ترى ماذا وجد د. (مدحت) ؟

أجابه كابتن الفضاء ببطء :

ـ سرّ خطـير دون شـك ! لدرجـة أنه خشى أن يكتشفه أى شخص آخر ..

ولهذا حفر هذه العبارات فوق المسلّة .. بلغة الإمبراطوريـة القديمة .. التى لا يستطيع سواى قراءتها !

قال الكمبيوتر الطائر ببساطة :

ـ إن القلعة القديمة تقع فى منطقة غامضة .. حرقها الإشعاع !

تريث للحظة ثم أردف قائلاً :

ـ ... حسن ! سرعان ما سيتضح لنا الأمر !

تساءل الروبوت (فهد) :

ـ هل سوف نأخذ سفينة الفضاء ؟

هزّ كابتن الفضاء رأسه وأجاب :

ـ إن الطيران هنا محفوف بالمخاطر ! والقلعة القديمة ليست بعيدة عن هنا !

ثنى (فهد) أعضاءه المعدنية الجبارة .. المتألقة وقال :

ـ لماذا ننتظر إذن ؟

سار الثلاثة وسط أدغال الأشجار العملاقة ..

ولا شىء حولهم .. سوى السكون فى ضوء الشفق الكثيف ..

كان السيف اللامع للشعاع يخبو .. ويميل .. مبتعدًا ..

كلما توغلوا فى الغابة ..

عرف كابتن الفضاء اتجاه القلعة القديمة .. الغامضة ..
المنطقة الذابلة التى أنهت حرارة الشمس الرهيبة بها ..
كل نوع من أنواع الحياة ..
حدّد مسارهم إلى الهدف ..
قلعة الأسرار !
ومرة أخرى .. جاءت من بعيد صرخة الوحش المجهول ..
تحدث الكمبيوتر الطائر بهدوء :
ـ إن هناك من يتتبعنا !
إذ التقطت أذناه الحادتان ..
أكثر من أى أذن بشرية .. أو آلية ..
حفيفًا من الحركة بين أشجار الغابة !
أومأ كابتن الفضاء برأسه ..
فقد تمكن من الاستماع إلى هذا الصوت ..
وقع أقدام متلصصة عارية ..
تتحرك بحذر غريب !
غمغم قائلاً :
ـ لا أفهم هذا ! إن هؤلاء الوطنيين كانوا ودودين لنا من قبل ..
ولكن التلصص ..
ولم يكمل عبارته ..
تساءل الروبوت (فهد) :

ـ هل نتوقف ونتصدّى لهم ؟
هزّ كابتن الفضاء رأسه قائلاً :
ـ كلا ! سوف نواصل تقدمنا .. يجب أن نصل إلى هذه القلعة .. قبل إسدال الظلام !
تريث للحظة ثم استطرد هامسًا :
ـ ... لكن عليكما باليقظة الدائمة .. فالحراب المسمومة للوطنيين .. قد تكون النهاية تمامًا مثل أى انفجار مدمّر !
دمدم (فهد) :
ـ لكن ليس بالنسبة لى بالطبع !
قال الكمبيوتر الطائر ساخرًا :
ـ إن كابتن الفضاء لم يقصدك أنت .. إنه يقصدنا نحن البشر !
ردّ الروبوت (فهد) بسرعة :
ـ اصغ إلىّ أيها الصندوق المعدنى .. والأشعة الكهرومغناطيسية .. إننى أمتلك ضعف ما لديك من بشرية و ...
صاح كابتن الفضاء فيهما :
ـ إن هذا يكفى ! يمكنكما مواصلة هذا النقاش الساذج .. فى أى وقت آخر !
واصلوا سيرهم بين الأشجار العالية ..
وحولهم حراسة خفية لا يرونها ..

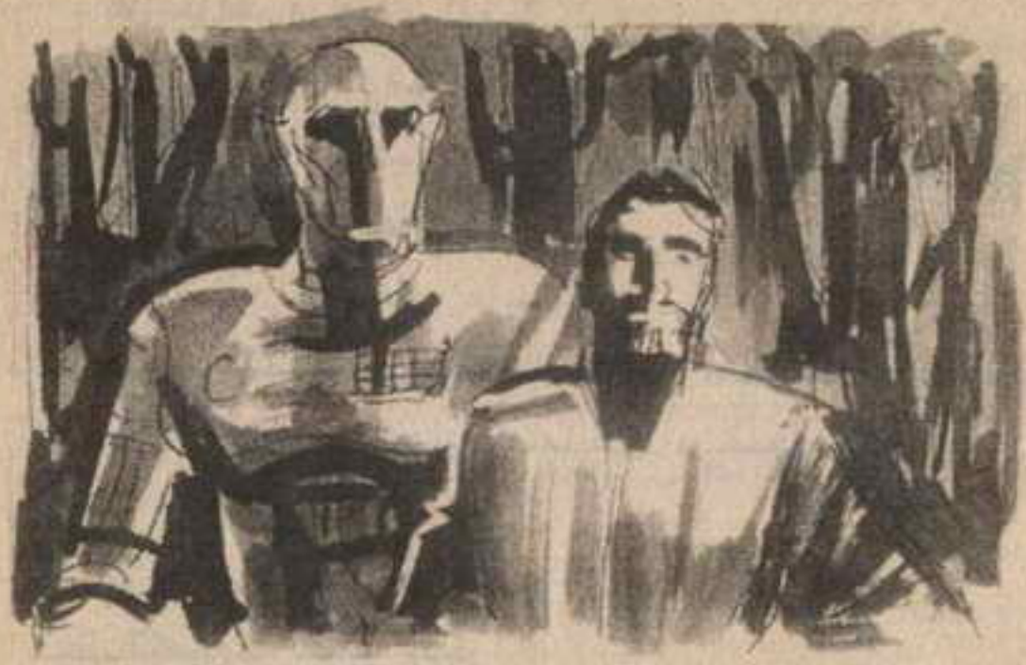

وبعد قليل وصلوا إلى نهاية الغابة ..
وشاهدوا التربة السوداء ..
والصخور التى يتصاعد منها الدخان ..
وشعروا بموجة من الحرارة الفظيعة ..
الصادرة من أرض الكويكب ذاتها !
كل ذلك كان يشهد بحرارة الشمس الرهيبة ..
التى يتحرك شعاعها العظيم الوحيد ..
مرة واحدة يوميًا .. خلال هذه الفتحة فى باطن الكويكب (زوما) ..
وأحس كابتن الفضاء بالطاقة الرهيبة ..

من الأشعة فوق البنفسجية ..
للجرم الشمسى الجبار القريب ..
التى يمكن أن تخترق أى فتحة صغيرة ..
وبحيث تلحق بكل ما تلمسه الدمار الشامل ..
كما كانت تفعل فوق كوكب الأرض ..
عندما اخترقت طبقة الأوزون من خلال ثقوب فيها !
عبروا التربة السوداء .. والصخور التى يتصاعد منها الدخان ..
كان كابتن الفضاء والروبوت (فهد) يسرعان الخطى ..
فوق الصخور الساخنة ..
بينما حلق الكمبيوتر الطائر فوقهما ..

★ ★ ★

ترامت أمامهم بعض النباتات النامية ..
فى حضن التلال القاحلة زيتونية اللون ..
والضاربة إلى السواد ..
كلما ازداد ظلام الغسق ..
وعلى الفور لاحظ كابتن الفضاء شيئًا غريبًا ..
على منحدر أقرب التلال إليهم ..
كان عبارة عن انزلاق أرضى حديث العهد ..
انهيار فى الصخور ..

قال كابتن الفضاء بسرعة :

ـ (نبيل) ! انظر إلى هذا الانهيار الأرضى ! هل تلاحظ شيئًا ؟

حام الكمبيوتر الطائر فوقهما ..

وعيناه العدسيتان تمسحان جانب التل المظلم ..

ثم قال بصوته الحاد المميز :

ـ أجل ! الشكل الخارجى العام ! إنه غير طبيعى تمامًا !

حدّق (فهد) فى المنظر .. ثم هدر قائلاً :

ـ لا أرى أى شىء غير طبيعى !

رد عليه كابتن الفضاء بسرعة :

ـ إنه يغطى مبنى مقامًا على جانب هذا التلّ .. انظر إلى تناسقه برغم حجب التربة له .. لاحظ القبة الوسطى والجناحين !

لمعت عينا (فهد) الكوارتزيتان وقال :

ـ قلعة الأسرار التى ذكرها د. (مدحت) !

أومأ كابتن الفضاء برأسه قائلاً :

ـ ربما ! دعونا نلق نظرة عليها !

تقدموا إلى الأمام ببطء ..

وبعد وقت قصير كانوا يتسلقون المنحدر ..

إلى الندبة الضخمة المتكتّلة ..

من التربة الجديدة ..

نظر كابتن الفضاء إلى الغابة أسفل منهم ..

إن أحدًا لم يتتبع خطاهم إلى هذا المنحدر المقفر ..

وامتدت أشجار الغابة العملاقة إلى البعد ..

وكان بوسعه أن يشاهد البريق الأسمر المصفر للتربة ..

فى ظلمة الغسق ..

كنهر كئيب داكن ..

ولم يستطع رؤية أى مبنى أو أطلال ..

على هذا الجانب من التل ..

قال كابتن الفضاء مؤكدًا :

ـ لا بد أن هذه هى القلعة الغامضة التى عناها د. (مدحت) !

والواضح أن انهيارًا أرضيًا غطاها .. منذ أن كان هنا ..

وسوف نضطر لحفر طريق لنا إلى الداخل !

وجدو أحجارًا مستوية فى التربة السائبة للانهيار ..

واستخدمها كابتن (عادل) والكمبيوتر الطائر .. والروبوت ..

كمعاول يدوية ..

وبدءوا يبعدون جانبا التربة الصفراء ..

من فوق قبة المبنى المدفون ..

فجأة .. لمع شىء ما .. وصفّر فى الغسق !

التفت كابتن الفضاء بسرعة ..

فوجد حربة طويلة تهتز .. مرشوقة فى المنحدر ..

أسفل منهم بمسافة بسيطة ..

غمغم (فهد) :

ـ لقد اعتقدت أن أهل كويكب (زوما) فى صفنا !
رد كابتن الفضاء بهدوء :
ـ اثبت مكانك .. لا يتحرك أحد .. ودعونى أتحدث معهم !
ثم هبط على المنحدر فى اتجاه الغابة ..
ونادى باللغة التى تعلمها فى أول زيارة له ..
إلى هذا الكويكب المفقود (زوما) ..
لغة كانت جميلة .. فى زمن إمبراطورية الفضاء القديمة !
ولكنها الآن بربرية .. مثل سكان الكويكب :
ـ أرونا وجوهكم أيها الإخوة ! لقد جئنا كأصدقاء .. وأيدينا مسالمة .. لا تهدف إلى القتل !
ران صمت مطبق ..
وعلى البعد قبع شعاع ذابل من ضوء الشمس ..
كسيف فاقد البريق !
ولم تتأثر الغابة الكثيفة بأسفل ..
بالرياح أو بالحركة من أى نوع ..
وحتى الوحوش الخفية كمنت فى مكانها ..
بعد صدور هذا الصوت البشرى القوى ..
الذى يتحدث عبْر الأطلال .. والخواء التام !
لم يتكلم كابتن الفضاء مرة أخرى ..
بل انتظر .. وبدا أن صبره بلا حدود ..

وأن ثقته بنفسه كاملة !
وبعد فترة ما ..
خرج رجل طويل القامة من الغابة .. وهو نصف متردد ..
ولكن فى نفس الوقت يتمتع بكبرياء عجيبة .. مؤثرة ..
كان مغطى بثياب من الجلد البنى ..
وبدا جلده وشعر رأسه المسترسل أبيض اللون ..
وعيناه شاحبتين .. وضبابيتين ..

وأسلحته لا تعدو .. سكينًا وحربة !
ورأى كابتن الفضاء فى مشيته .. وهيئته ..
والشكل المهندم لرأسه ..
آثارًا باقية من التراث ..
الذى أعطى لرجال الإمبراطورية القديمة ..
السيادة على مجرتين بأسرهما !
ومن المؤسف أن هذا الرجل سليل المجد ..
كان لا بد أن ينظر إليه ..
بعينين وحشيتين .. شكاكتين !
قال الكمبيوتر الطائر بهدوء :
ـ إنه (كاه) ! أليس كذلك ؟
أجابه كابتن الفضاء بلغة أهل كويكب (زوما) :
ـ بلى ! هل ذاكرة (كاه) ضعيفة جدًا .. بحيث لا يعرف إخوته ؟
كان لهم لقاءات مع (كاه) من قبل ..
فهو زعيم لأكثر من ثلثى قبائل (زوما) ..
وكان رجلاً يوثق به .. وساعد كابتن الفضاء من قبل .. فى أمور كثيرة ..
لكن الآن تفحصته العينان الماكرتان .. الذكيتان ..
بدون أى انفعال .. أو ترحاب !

قال الرجل بهدوء :
ـ إن (كاه) يتذكركم ! كابتن الفضاء .. والكمبيوتر الطائر .. والروبوت العملاق (فهد) !
وخلفه احتشد رجاله فى ثنائيات .. وثلاثيات صامتة ..
عند سفح المنحدر ..
كانوا جميعًا طوال القامة .. ذوى شعر أبيض كالثلج ..
يرتدون جلدًا بنيًّا .. ويحملون سكاكين وحرابًا حادة ..
كانوا يراقبونهم .. ورأى كابتن الفضاء أن عيونهم ..
استقرت فى عجب على المارد المعدنى (فهد) ..
وتذكر أنهم تأثروا كثيرًا عندما شاهدوا الروبوت العملاق من قبل ..
ثم قال (كاه) فجأة :
ـ لقد كنا .. وما زلنا أصدقاء وإخوة ! ولذلك كففت يدى عنكم ! إن هذا المكان مقدس .. ومحظور التواجد فيه ! غادروا هذا المكان حيث إنكم ما زلتم أحياء !
ردّ عليه كابتن الفضاء بثبات .. ورباطة جأش :
ـ لا يمكننا أن نذهب .. إننا نبحث عن صديق أتى إلى هنا .. وفقدنا أثره !
فجأة صرخ (كاه) بصوت مدوٍّ :
ـ آه ... ه !

فرفع كل الرجال الذين معه حرابهم .. وهزوها بعنف ..
ثم أردف صائحًا :
ـ ... لقد دخل المنطقة المحرمة .. ولاقى مصيره !
قال كابتن الفضاء فى هلع :
ـ لاقى مصيره ! تعنى أنه مات ؟
حرّك (كاه) يده ... فى حركة من الطقوس المرعية القديمة ..
ورأى كابتن الفضاء .. أن رجاله يرتعدون ..
ثم استدار (كاه) وأشار إلى الشعاع المتلاشى ..
الذى كان بالنسبة له .. رمزًا مقدسًا ..
همس قائلاً :
ـ إنه ذهب إلى هناك ! على طول مسار الضوء .. إن من يتبع الشعاع اللامع لا يعود أبدًا !
قال كابتن الفضاء بحدة :
ـ إننى لا أفهمك يا (كاه) ! هل جسد صديقى مدفون فى هذا المكان ؟ ماذا حدث له ؟ تحدث بوضوح أكثر ..
هزّ (كاه) رأسه بعنف وقال :
ـ كلا ! لقد تحدثت أكثر من اللازم عن أشياء محرمة !
ثم رفع حربته المسمومة وأردف بحدة :
ـ ... اذهبوا الآن ! لأننى لا أود أن أقتلكم !

صاح كابتن الفضاء قائلاً :
ـ لن تستطيع قتلنا يا (كاه) ! لأن حرابكم لن تطير مثل هذه المسافة .. كما أن هذا المارد المعدنى العملاق .. الذى يدعى (فهد) .. سوف يقف أمامكم كالجدران تمامًا !
ثم قال للروبوت وهو لا يكاد يلتقط أنفاسه :
ـ احجزهم يا (فهد) ! فلن يستطيعوا أن يصيبوك بضرر .. وسوف يتيح لنا ذلك مواصلة الحفر !

ـ ٥ ـ

تقدّم (فهد) ناحية سكان كويكب (زوما) ..
وهو يقرقع فى خطواته الثقيلة .. إلى أسفل المنحدر ..
كعملاق مهيب يشق ظلمة الغسق !
صاح كابتن الفضاء بأعلى صوته إلى (كاه) قائلاً :
ـ لن نغادر هذا المكان .. حتى نعثر على صديقنا !
قذف (كاه) حربته ..
وسقطت على بعد خطوتين من كابتن الفضاء ..
إلا أنه لم يتحرّك من مكانه !
تقهقر سكان (زوما) ببطء ..
أمام الروبوت العملاق (فهد) المتقدم ..
والذى فرد ذراعيه المعدنيتين القويتين ..
زمجر ودق الأرض بقدميه ..

حتى ارتعدت !

همس الكمبيوتر الطائر فى سخرية :

ـ الممثل الكبير ! إنه مستمتع بأداء دوره !

ساد الاضطراب صفوف الوطنيين ..

وانطلقت مجموعة من الحراب المحمومة ..

إلى أعلا المنحدر ..

وتحطّمت بعض الأطراف السوداء .. مقترنة بقرقعة معدنية ..

إثر اصطدامها بجسد الروبوت المعدنى !

أطلق (فهد) ضحكة مدوية ..

ثم التقط قطعة من الصخر ..

وحطّمها بين يديه ..

وطوّح بأجزائها فى وجوههم !

فجأة .. صرخ (كاه) :

ـ سوف تحل عليكم اللعنة .. التى حلّت على صديقكم هذا الذى دخل إلى هناك !

أنتم أيضًا ستخرجون على طول الشعاع .. ويختفى كل أثر لكم إلى الأبد !

مع الأشعة اللامعة التى لا تعود أبدًا !

ثم استدار واختفى مع رجاله فى الأدغال ..

قال الكمبيوتر الطائر :

ـ إننى كنت أدرس هذا الانهيار الأرضى ! وأعتقد أن هؤلاء الوطنيين أحدثوه عن عمد .. لعزل هذا المكان بعد دخول د. (مدحت) فيه !

ردّ عليه كابتن الفضاء :

ـ محتمل جدًا !

ووقف للحظات سارحًا مع أفكاره .. ثم أردف قائلاً :

ـ ... إننى أعجب مما يقصده (كاه) بقوله « الأشعة اللامعة التى لا تعود أبدًا » !

قال الكمبيوتر الطائر بلهجة المتفائل :

ـ لعله تعبير لطيف للموت ! على أى حال سوف نعرف ذلك بشكل أفضل ..

عندما نجد طريقنا إلى الداخل !

توقفا عن الكلام ..

وبدآ الحفر مرة أخرى ..

كانت قلعة الأسرار ترتكز على نوع ما من الصخر ..

الذى تغطى جزئيًا بالانهيار الذى حدث ..

بحيث لا يمكن للوطنيين أن يصعدوا إليهم ..

إلا عن طريق المنحدر ..

وكان (فهد) يقطع عليهم الطريق ..

بكفاءة ملحوظة !

ومن حين لآخر .. كانت إحدى الحراب تصفر ..
وهى تسقط فى الطين بالقرب منهم ..
دون أن تسبّب ضررًا ..
لكن لم يحدث أى هجوم عليهم !

★ ★ ★

ضاق الخيط المتألق الأخير من الشعاع ..
حتى تبدّد واختفى تمامًا ..
وخيّم الظلام المطبق على كويكب (زوما) .. الخفى ..
وواصل كابتن الفضاء .. والكمبيوتر الطائر العمل على ضوء المصابيح ..
المثبتة فى الأحزمة التى يرتدونها ..
اصطدما بالحجر الصلب للمبنى ..
وبدأ معدل العمل يزداد ..
وبعد عدة دقائق صاح الكمبيوتر الطائر :
ـ توجد فتحة هنا !
ألقيا معاولهما المختلفة جانبًا ..
وتهاوت التربة السائبة تحت أيديهما ..
وأخيرًا اكتشفا الأقواس العلوية المختفية لنافذة ثلاثية ..
ومن هنا كان الطريق سهلاً !
كان كابتن الفضاء أول من دخل ..

وكانت كمية هائلة من التربة ..
قد تهاوت خلال الأقواس المفتوحة ..
لكن معظم المنسوب العلوى بدا خاليًا ..
وتبعه فى الدخول .. الكمبيوتر الطائر ..
كشفت لهما المصابيح .. عن بهو دائرى عال فى القبة المركزية ..
وتحتها كانت هناك فتحة دائرية عميقة .. مكشوفة ..
استند كابتن الفضاء إلى السياج المحفور المنخفض ..
ومال إلى الأمام ..
وفى أعماق الحفرة شاهد إضاءة خافتة .. مخيفة ..
مثل ضوء الشمس الطيفى .. المحتجب فى الضباب ..
وكان مصدر الضوء مختفيًا عنه ..
بسبب الأروقة الأخرى التى تعلوها ..

★ ★ ★

ران على المكان .. صمت الموت الأبدى ..
وعبقت به رائحة القرون الطويلة ..
المختلطة بالتربة الجديدة .. حديثة التكوين ..
وتقدم كابتن الفضاء فى الرواق ..
وخطوات أقدامه تقرقع على أرضية السرداب ..
ثم وجد سلمًا ضيقًا يفضى إلى أسفل ..

هبطا ومرا بسرعة بالأروقة الأخرى ..
ووصلا أخيرًا إلى داخل حجرة صغيرة ..
كان لها باب يفتح على الخارج ..
باب معدنى هائل ..
فقد لمعانه بمرور الزمن ..
واعوجَ بتأثير الضغط الشديد عليه ..
وترك الأتربة تنخر فى شقوقه ..
وأمام الباب شاهدا فتحة مربعة فى الجدار الحجرى ..
وفوقها كتابة محفورة ..
أمسك كابتن الفضاء بمصباحه عاليًا ..
وقرأ النقش ببطء :
ـ هنا مكان ولادة أبناء الشمس !

ـ ٦ ـ

مرا بارتياب خلال الحجرة الوسطى للقلعة ..
وتساقطت الأتربة عليهما من أعلى ..
حتى غطت جزءًا كبيرًا من الأرضية ..
وأدرك كابتن الفضاء أن الرواق العلوى فقط ..
والذى يعمل كمصد للأتربة المنهارة فوقه ..
قد حفظ ما بداخل القلعة من الردم التام عليه ..
زحف حتى اعتلى قمة تل من الأحجار والأتربة ..

ووقف ساكنًا .. يحدق حوله فى حيرة وعجب ..
شاهد الآن مصدر هذا الضوء الخافت المخيف ..
ففى كوات عميقة فى أوجه متقابلة من الحائط المنقوش ..
كان هناك مجموعتان متشابهتان من الأجهزة ..
التى لم ير مثيلاً لها من قبل !
كانت قواعدها من معدن قاتم ..
لم يتأثر بمرور الزمن ..
وبدت عريضة ومنفصلة ..
بحيث كونت مراكزها منصة كبيرة ..
وكان مثبتًا فى كل قاعدة ملفان مرتفعان ..
فيما يشبه الأنابيب الكريستالية ..
بارتفاع شخص طويل القامة ..
ومحاطة بإطارات من البلاتين !

★ ★ ★

خفقت الملفات .. وتوهجت بضوء غامض ..
مجموعة واحدة تعطى وهجًا ذهبيًا خالصًا ..
والمجموعة الأخرى تصدر وهجًا قاتمًا ..
ذا لون أخضر ضارب إلى الزرقة ..
وقبالة القنطرة التى دخلوا منها ..
كانت هناك كوة ثالثة أصغر ..

موضوع داخلها صف معقد من الأجهزة ..
لعلها تمثل لوحة تشغيل وتحكم !
قال الكمبيوتر الطائر برفق :
ـ مكان ولادة أطفال الشمس ! انظر يا كابتن (عادل) هنـاك فوق الكوّات
ومرة أخرى قرأ كابتن الفضاء بصوت عال ..
الرسائل التحذيرية المحفورة بعمق فى الحجارة ..
التى لا يؤثر فيها الزمن ..
إذ كان مكتوبًا فوق أجهزة الملفات الذهبية :
ـ ليحذر كل من يتقدّم خطوة واحدة بعد هذا المدخل ! فالموت هو ثمن الحياة الأبدية !
وفوق واحد من الأجهزة ذات الألوان المعتمة .. كان منقوشًا ما يلى :
ـ الموت مدخل مزدوج .. ففى أى جانب منه توجد الحياة الحقيقية ؟

★ ★ ★

اقترب الكمبيوتر الطائر من الكوّة ..
التى تصدر الوهج الغريب لضوء الشمس ..
وحام فوق حافة الأتربة المنهارة .. ثم قال :
ـ كابتن (عادل) ! أعتقد أننا وجدنا ما نبحث عنه !

لحق كابتن الفضاء به ..
وانحنى والتقط شيئًا ما ..
ونفضه من الأتربة التى غطته تقريبًا ..
أومأ برأسه فى صمت ..
كان منزرًا من قماش صناعى سميك .. متسخ .. ومتآكل ..
وعلى البطاقة داخل الياقة العريضة ..
كان منسوجًا اسم :
(مدحت شوقى)
قال كابتن الفضاء فى حيرة :
ـ لقد كان هنا يا (نبيل) ! لكن ماذا حدث له ؟ لماذا خلع ... انظر !
لمح كابتن الفضاء .. كومة فى التراب ..
تشبه شكل الإنسان تقريبًا ..
اشترك مع الكمبيوتر الطائر فى إخراجها ..
ثم نظر كل منهما إلى الآخر فى ارتياح شديد ..
وقال كابتن الفضاء :
ـ إن هذه مجرّد حقيبة ظهر .. وفراش متنقل !
ردّ عليه الكمبيوتر الطائر :
ـ وخذاؤه ذو الرقبة .. إننى لا أفهم شيئًا من هذا ! لا توجد أيّة علامة دماء على ملابسه ..

كان مئزرًا من قماش صناعى سميك .. متسخ ..

كان كابتن الفضاء ينظر الآن ..
إلى الملفات الكريستالية الصفراء ..
والفراغ بينهما الذى يشبه المنصة ..
وكانت هذه الأشياء قريبة جدًا إليه ..
بحيث يمكنه لمسها إذا أراد !
قال كابتن الفضاء ببطء :
ـ لقد خلع ملابسه هنا .. وتركها مع أدواته وراءه ثم ...
وارتفعت عيناه إلى النقش ..
ثم أضاف بتؤدة :
ـ ذهب د. (مدحت) من المدخل ! ولا نعلم ما الذى يفضى إليه !
قال الكمبيوتر الطائر :
ـ أقترح أن نبحث فى ملابس د. (مدحت) .. عن أى بيانات يكون قد تركها .. وتتعلق بهذه الأجهزة واستخداماتها ..
فالواضح أنه قضى شهورًا فى الدراسة ..
وأنه لا غنى لنا عن تسجيلاته !
اتجهت عيناه العدسيتان ناحية الكوة الصغيرة ..
ذات الصف الخفى الغامض ..
من أدوات وأجهزة التشغيل والتحكم ..

وأردف قائلاً :

ـ ... توجد الكثير من المنقوش المتقاربة على هذه الجدران .. لعلها تعليمات لتشغيل هذه الأجهزة والآلات .. ولا شك أنه كتب ترجماته لها .. للرجوع إليها وقت الحاجة !

كان كابتن الفضاء قد انتهى تقريبًا ..

من فحص ملابس د. (مدحت) ..

وقال وهو يمسك بمفكرة سميكة سوداء :

ـ ها هى ذى ! قرّب مصباحك يا (نبيل) !

وأخذ يقلب الصفحات بسرعة ..

حتى وجد ما يأمل ويدعو للعثور عليه ..

فصلاً كاملاً أطلق عليه د. (مدحت شوقى) :

(ترجمة تعليمات أجهزة التشغيل)

قال كابتن الفضاء وهو يتنهّد :

ـ إن عليها تعليقات طويلة ومعقدة .. وكثيفة .. وسوف يستغرق ذلك بقية هذه الليلة لفهمها وسَبْر غورها .. ولكنها على أى حال هدية ثمينة للغاية !

جلس على التراب ..

وفتح الكتاب على ركبتيه ..

وحلّق الكمبيوتر الطائر بالقرب من كتفيه ..

وانهمك الاثنان فى دراسة صفحات المفكرة فائقة الأهمية !

ثم قال كابتن الفضاء :

ـ أعتقد أننا فى مأمن هنا ! فلن يجرؤ الوطنيون على تتبعنا هنا فى أرض محرّمة كهذه .. خاصة وأن (فهد) يقف لهم بالمرصاد !

★ ★ ★

انتظر الروبوت (فهد) .. فى حالة يقظة تامة ..

ومن وراء النوافذ العالية ..

جاءت أصوات بعيدة ..

بدت له كلحن حزين .. كئيب !

★ ★ ★

بينما كان كابتن الفضاء يقرأ فى مفكرة د. (مدحت) ..

تبلور شكّه الرهيب ..

الذى ولد فى عقله أخيرًا ..

فى شكل حقيقة مروّعة ..

وفى نفس الوقت .. لا مهرب منها !

فقد تضمنت صفحات المفكرة ..

أكثر من مجرّد ذكر الحقائق .. والبيانات العلمية ..

إذ اشتملت أيضًا على تاريخ .. وأمل .. وخوف .. وحلم كبير ..

ونتيجة كانت مذهلة ..

لدرجة أن العقل يتهاوى أمامها ..
فقد حملت فى ثناياها ..
عقوبة مميتة !
ألقى كابتن الفضاء المفكرة السوداء .. بعيدًا عنه ..
ثم وثب واقفًا ..
ووجد أن كل جزء فى جسده يرتعد ..
وأن جسمه يسبح فى بحر من العرق ..
صاح قائلاً :
ـ إن هذا أمر مروّع يا (نبيل) ! لماذا سمحوا لمثل هذه التجربة بأن تتم ؟
نظر إليه الكمبيوتر الطائر بعينيه العدسيتين ..
وأجابه بتؤدة :
ـ لا توجد أى معرفة خاطئة فى ذاتها ! وإنما يجىء الخطأ من تطبيقها ..
ورجال الإمبراطورية القديمة حرّموا استخدام هذه الأجهزة .. عندما عرفوا نتائجها وتأثيراتها !
تريث للحظة ثم أردف قائلاً :
ـ ... ويسجل د.(مدحت) هنا الكتابات المنقوشة التى وجدها فى المدينة المدمّرة .. ويقول إنه فضّ بنفسه الأختام .. التى على الباب العظيم !

همس كابتن الفضاء بعصبية :
ـ الأحمق !
وحدّق فى المجموعتين المتماثلتين من الملفات المتوهجة ...
ثم إلى أعلى فى القبة ..
وأردف قائلا :
ـ ... بعد أن غيّر ثيابه .. خرج ليسير بطول الشعاع .. لكن الوطنيين ارتاعوا لما رأوه يفعله .. فأحدثوا انهيارًا أرضيًا .. لكى يخفوا هذا المكان ويعزلوه تمامًا !
قال الكمبيوتر الطائر :
ـ لكن د. (مدحت) لم يعد أبدًا !
ردّ كابتن الفضاء وهو يفكر بعمق :
ـ لا .. لا .. لم يعد ! ولا شك أن هناك سرًا غامضًا .. وراء عدم عودته !
تريث للحظة ثم استطرد قائلاً :
ـ ... إنها قصة لا تصدق ! لكن د . (مدحت) سجل فى مذكراته كل ما له صلة بالموضوع .. سواء حدث هنا .. أو فى المدينة المدمّرة !
وصمت قليلاً .. كما لو كان يحاول وضع ما يعلمه ..
فى تعبيرات بسيطة .. وأردف قائلاً :
ـ ... فى أيام الإمبراطورية القديمة .. اهتم علماؤها

بالشمس .. ويبدو أن كويكب (زوما) كان أول مركز يهتم بدراسة الفيزياء الشمسية .. والاندماج النووى الذى يحدث فيها .. والبقع والألسنة الشمسية .. وفى وقت ما فى غضون هذه الأبحاث والدراسات التى استمرّت قرونًا طويلة .. تمكن أحد العلماء من اكتشاف طريقة لتحويل مادة الجسم البشرى العادية .. إلى شىء يشبه الطاقة الشمسية .. وهو شكل متماسك « للقوة الحيوية » القادرة على الذهاب والعودة .. بكامل حريتها إلى قلب الشمس ذاتها !

أطرق كابتن الفضاء برأسه لعدة ثوان .. ونظر للكمبيوتر الطائر .. ثم أضاف قائلاً :

ـ ... وعليك أن تفهم أن ذلك ليس دمارًا أو فناءً للمادة .. بل مجرّد تحويلها إلى كيان حىّ من الطاقة .. وعن طريق عكس المجال .. يمكن إرجاع المادة المحوّلة إلى شكلها الأصلى .. وحيث إن المراكز العقلية والحركية تظل نشطة فى الكيان المتحوّل .. فإن التفكير والإدراك يظلان سليمين .. برغم اختلاف الشكل .. وهكذا دخل العلماء مجال التحوّل وأصبحوا .. أبناء الشمس !

قال الكمبيوتر الطائر بصوت حاد مميز :

ـ إذن هذا هو معنى الكتابة المنقوشة .. والأسطورة ! هل تعنى أن هذه الخيوط الصغيرة من اللهب .. التى رأيناها .. كانت رجالاً ذات يوم ؟

لم يجبه كابتن الفضاء ..

بل نظر إلى الملفات الذهبية الطويلة البعيدة ..

التى بدا أنها تنبض بضوء الشمس ذاتها ..

لكن الكمبيوتر الطائر تحدث بجفاء :

ـ كابتن (عادل) ! إن د.(مدحت) لم يخبرك بكل الحقيقة ! إذ كان إغراء الحياة الغريبة فوق الشمس .. قويًا جدًا لكثير من الرجال الذين تحولوا .. وبالتالى لم يعودوا أبدًا ! ولذلك حُرّم استخدام أجهزة التحويل .. وأغلق هذا المختبر نهائيًا .. حتى جاء د. (مدحت) وفتحه مرة أخرى !

قال كابتن الفضاء كمن يحدث نفسه :

ـ والآن هو موجود هناك ! تحوّل وذهب إلى الشمس .. ثم لم يستطع العودة !

ثم استدار فجأة ليواجه الكمبيوتر الطائر ..

وكان وجهه الأسمر .. الوسيم .. الجاد ..

ينم عن التركيز التام .. وأردف :

ـ ... وأنا ذاهب وراءه .. لإعادته !

ـ ٧ ـ

صرخ الروبوت (فهد) الذى جاء منذ عدة دقائق .. وسمع حديثهما :

ـ كلاّ ! لا بد أنك جننت ! لا يمكنك أن تفعل شيئًا كهذا !

رد كابتن الفضاء بإصرار :

ـ لكن د. (مدحت) فعله !

فقال الكمبيوتر الطائر :

ـ أجل ! ولعله الآن ميت .. أو أى شىء أسوأ من ذلك !

ثم أمسك (فهد) بذراع كابتن الفضاء وقال له بتوسل :

ـ وحتى إذا ذهبت وراءه .. فكيف يمكنك أن تعثر عليه ؟

قال الكمبيوتر الطائر :

ـ ولنفترض أنك وجدته .. ولكنكما لن تستطيعا العودة .. فهذه الآلات قديمة جدًا .. وربما تتعطل ! وأعتقد أن هذا النوع من العمل .. يجمع بين الجنون والبلاهة !

كانت عينا كابتن الفضاء الرماديتان ..

تشعان بالتصميم الفولاذى ..

وعدم الالتفات إلى الصعاب ..

والنظر إلى بعيد ..

حتى إن الروبوت (فهد) ارتد إلى الوراء مبتعدًا عن طريقه ..

كان وجهه الآن كحجر الصوان ..

من حيث ما ينم عنه من إرادة حديدية !

قال كابتن الفضاء بتؤدة :

ـ د. (مدحت) كان صديقنا ! ووقف إلى جانبنا عندما كنا فى حاجة إليه ..

وواجبى أن أذهب الآن وراءه .. لإنقاذه !

قال الكمبيوتر الطائر بهدوء :

ـ كابتن (عادل) ! لا تنس أنك إذا فشلت فى العودة .. فلن يتمكن أحدنا من اللحاق بك !

ألقى كابتن الفضاء نظرة حادة .. ومفاجئة نحو الكمبيوتر الطائر ..

★ ★ ★

كان السرداب الحجرى ساكنًا تمامًا ..

ومن أعلى .. خلال النوافذ الثلاثية ..

جاءت ومضة ضوئية تتراقص ..

وحشية .. ومتألقة .. كرمح ذهبى ..

أدار كويكب (زوما) رأسه تجاه الشمس ..

وجاء الشعاع مرة أخرى !

قال كابتن الفضاء بتؤدة :

ـ سوف أعود .. إننى أعدكما بذلك .. والآن اقتربا لندرس أجهزة التشغيل هذه !

رد الكمبيوتر الطائر فى استسلام كئيب :

ـ إن شغفك بالمجهول .. سيوردنا موارد التهلكة إن عاجلاً أو آجلاً ! وأظن أن هذا الوقت قد حان !

لكنه اقترب من أجهزة التشغيل والتحكم ..

كان الأمر بسيطًا ..

فقد جعلت الترجمة الدقيقة للكتابات المنقوشة ..
فهم كيفية تشغيلها .. سهلاً للغاية ..
ووجدوا أن د. (مدحت) ضبطها بدقة فائقة ..
كان مصممًا على العودة ..
لكنه لم يعد أبدًا .. لماذا ؟
لم يكن كابتن الفضاء ليصدق أن انهيارًا أرضيًا ..
يمكن أن يعتبر حاجزًا أمام أحد أشكال الطاقة الحيّة ..
الذى يمكن أن يخترق أعماق الشمس !
تساءل كابتن الفضاء فى نفسه :
ـ إذن لماذا لم يرجع د. (مدحت) ؟ وما هو الموجود هنـاك فى العنف الجبار المتأجج لهذا العالم الشمسى .. الذى حجز أولئك الذين ذهبوا إلى هناك ؟
وتذكّر كابتن الفضاء .. النقش الذى كان مكتوبًا فوق اللوحات ..
والكلمات الجافة التى نطقها الكمبيوتر الطائر ..
أحس برعدة تسرى فى أعماق بدنه ..
وكاد أن يتردّد فى هذه اللحظة ..
لكن فوق رأسه احتدم ضوء الشعاع .. ولمع ..
ولم يكن ليتوقف عندئذ حتى لو أراد ذلك ..
قال لرفيقيه :
ـ هل تفهمان الآن ؟ تستمد الآلات طاقتها من المجـال

المغنطيسى لكويكب (زوما) ذاته ! وهو يقطع المجال المغنطيسى الجبار للشمس .. وعلى ذلك يوجد مصدر أبدى للطاقة لا ينضب .. وأجهزة التشغيل والتحكم مضبوطة .. ومهمتكما التحقق أنه لن يلمسها أحد !
أومأ الروبوت (فهد) برأسه الضخم فى صمت ..
أما الكمبيوتر الطائر فلم ينطق بكلمة ..
إذ كان يراقب كابتن الفضاء ..
بتركيز حاد .. ومرارة شديدة !

★ ★ ★

سار كابتن الفضاء تجاه المحوّل ..
ووقف حيث وقف د. (مدحت) من قبل ..
وتريث ناظرًا إلى الملفات الطويلة البللورية ..
التى كانت ممتلئة بالنيران الذهبية !
ارتعدت العضلات المتوترة لجسده ..
وتغيرت حالة عينيه ..
وخطا إلى أعلى .. فوق المنصة بين الملفات ..
أحاط به وهج من الضوء الذهبى ..
وأمكنه رؤية الآخرين خلاله ..
كما لو كان ينظر إليهم من وراء حجاب متقد بالنيران !
بدا الروبوت (فهد) فى حالة من الشجن .. والحيرة .. والقلق ..
واتضح ذلك فى طريقة انحنائه إلى الأمام ..
وذراعاه مفرودتان ..
بينما حلق الكمبيوتر الطائر ..
مراقبًا الموقف فى غم .. واكتئاب !
ثم أصبح الضوء ضبابيًا .. وكثيفًا .. واختفيا عن ناظريه ..
وشعر كابتن الفضاء بالقوة الجبارة .. الرهيبة ..
التى انبثقت من الملفات المتوهجة ..
ومجالات القوة الهائلة ..

التى ركزت بؤراتها فى كل خلاياه ..
أراد أن يصرخ ..
لكن صوته اختفى ..
مرت عليه لحظات .. كدهور كاملة ..
من الدوار .. والذعر .. والتغير الرهيب ..
والانسلاخ .. والذوبان ..
كانت كل خلايا جسمه ..
تتحلل إلى جسيمات دون ذرية ..
إلكترونات .. بروتينات .. نيوترونات ..
وأخيرًا إلى .. كواركات !
ثم أصبح حرًا ..
ووسط الضباب .. والغرابة ..
أحس بالروبوت (فهد) والكمبيوتر الطائر .. الصامتين ..
داخل قلعة الأسرار ..
يرقبانه .. فوق أشعة الضوء القوية الساطعة ..
التى تسحبه مثل صوت يناديه .. من المجهول !
وتمنى أن يرتفع تجاهه ..
وفعل ذلك فعلاً ..
وهو يحلّق ويرتفع بسرعة رهيبة ..
وسبّب له هذا سعادة .. ومتعة .. لا حدود لهما !

كان ما زال متمتعًا بحاستى الرؤية .. والسمع ..
ولكن بشكل مختلف ..
بدأ الآن يستوعب .. ويتلقى المؤثرات من خلال كيانه كله ..
وليس من خلال الأعضاء المحدودة للجسم البشرى !
إذ لم يعد إنسانًا فى هذه اللحظات ..
بل لهبًا متوهجًا .. تحيط به قوة هائلة ..
أصبح أكثر قوة .. وحرية ..
من جميع قيود الجسم .. والضوء .. والسرعة !
طار إلى أعلى .. تجاه القوس الثلاثى ..
ثم انطلق إلى داخل الضوء .. وإلى أعلى ..
لم يعد للزمان .. والمكان أى معنى .. له ..
ومن واقع الحاسة الإدراكية الغريبة ..
نظر إلى الشعاع وهو يغرس طوله اللافح ..
عَبْر الأرض القاتمة للكويكب !
اندفع متجهًا إليه ..
كنجم لامع صغير ..
وسط الظلام المخيّم .. على باطن كويكب (زوما) ..
ومثلما يغطس السبّاح فى نهر بحث عنه طويلاً ..
فإن ابن الشمس .. الذى كان كابتن الفضاء ..
اندفع داخل مسار الشعاع ..

الضياء الساطع .. المبهر .. والحرارة المميتة :.
لم يعودا مصدرًا للرعب بالنسبة له الآن ..
الشكل الغريب لكيانه الجديد ..
بدا أنه جمع القوة منها ..
تلقى الطاقة المروّعة ..
ونما عليها !
من بعيد .. شاهد الفتحة فى سطح الكويكب ..
التى يدخل منها الشعاع الجبار ..
وكانت إرادته أن يتجه إليه .. بسرعة ..
لكى يخرج من جدران كويكب (زوما) ..
التى تخفى الكون اللانهائى عنه !
أصبح كابتن الفضاء جزءًا من كل ذلك ..
ابنًا للشمس .. أو أخًا للنجوم ..
أراد أن يتحرّر من كل شىء فى الفضاء الواسع ..
أن ينظر إلى المجد الحقيقى .. والسعادة الخالصة ..
التى كان هو ذاته من نفس طبيعتها !
أسرع إلى الخارج بطول الشعاع ..
وهو متشوق .. ومبتهج ..
وإلى حد ما .. كصدى لماض بعيد طواه النسيان !
وتذكر كلمات (كاه) :

ـ « الأشعة اللامعة التى لا تعود أبدًا » !

ـ ٨ ـ

امتلأت القبة السماوية بالضوء الساطع ..
وكل شىء غير ذلك .. تبدّد وطواه النسيان ..
النجوم البعيدة .. والكواكب الصغيرة التى يسكنها الإنسان ..
لم يكن أى شىء موجودًا أمامه ..
سوى الجمال الرائع الخلاب للشمس ..
خيط اللهب الصغير .. الذى كان كابتن الفضاء من قبل ..
قبع ساكنًا فى الفضاء ..
يمتص خلال كل ذرّة إحساس من كيانه ..
بالدهشة الخارقة !
خرج من كويكب (زوما) الباهت ..
إلى الضوء المبهر .. والعظمة الصريحة ..
للنجم المتقد .. الذى كان سيد جميع الكواكب ..
ارتفع كابتن الفضاء متجهًا إلى الشمس ..
مسرعًا فى البداية ..
ثم ببطء أكثر فأكثر ..
عندما فسّرت له حواسه الجديدة روعة هذا المنظر الساحر ..
تملّكه الخوف .. وظل محتفظًا بتوازنه فى أثناء طيرانه ..
وهو يكافح بحواس جديدة .. غير مادية ..

أحس بضغط الضوء ..
جاء ذلك فى اندفاعة مفاجئة لألسنة هائلة ..
صادرة من الشمس ..
انفجارات مروّعة تمتد لآلاف الكيلومترات ..
اصطدمت جسيمات الطاقة المتجدّدة ..
بالنيران الضعيفة لجسمه الجديد ..
مسببة له صدمات رقيقة .. تحدث وخزًا خفيفًا !
وأسعده ذلك .. وبدأ يتغذى عليها .. ويشبع منها ..
ووجد أنه يمكنه أن يسمع الشمس ..
لكنه لم يكن سمعًا كالذى عرفه من قبل .. فى حياته المادية ..
فلا يوجد هنا وسط لحمل .. موجات الصوت ..
بدا الأمر أكثر عمقًا من ذلك ..
فقد كان نبضًا داخليًا لكيانه الذاتى الجديد !

★ ★ ★

وعلى أىّ حال .. فقد سمع الهدير الوحشى المهيب ..
لعمليات الاندماج النووى فى الشمس ..
الرعد المدوى .. المكتوم لقارات ومحيطات النيران الشمسية ..
التى تتخللها التيارات الكهربية .. والمجالات المغناطيسية المروّعة ..
راقب دوران الشمس حول مركز المجرة .. بسرعة ٢٢٠ كيلومترًا فى الثانية الواحدة !

وأدرك بإحساس قوى كل ألوان الطيف .. التى يمكن تصورها ..
فوق سطح الشمس ..
بدءًا من اللون البنفسجى الخافت ..
إلى أشد ألوان الأحمر الزاهى ..
وبالتدريج ومن خلال دهشته لحياته الجديدة ..
زال إحساسه بالخوف ..
واندفع مقبلاً تجاه الشمس ..
ولفّته الحجب الخفاقة للهالة ..
فى غلالة غامضة من البهاء .. والروعة ..
كانت تلف حول نفسها فى طيات أرجوانية كثيفة !
أصبح كابتن الفضاء نقطة من النار الذهبية .. الحية ..
يتماوج معها كطائر أسطورى ..
ثم تبدّدت وكشفت جو الشمس العاصف تحتها ..
سقط إلى أسفل بسرعة شعاع الضوء ..
وغطس فى الظلمة الحمراء .. لجو الشمس ..
اكتسح المكان تيارات قوية من الغازات القرمزية الهادرة ..
ودارت فى دوامات حمراء اللون ..
بحجم قارات كاملة !

★ ★ ★

اندفع ابن الشمس المولود حديثًا ..
على طول موجات المدّ القرمزية الهادرة ..
يدور .. ويلف .. ويرقص .. ويقفز عاليًا ..
وتحته كانت هناك كرة متحركة غامضة من النيران ..
غاز الهليوم الذى تكوّن نتيجة اندماج الهيدروجين ..
جمال لا يوصف .. وغرابة لا تصدّق ..
طوفان جبار من النيران الذهبية ..
يندفع فى شكل موجات عالية ..
تستطيع ابتلاع كواكب بأكملها ..
محطمة كل ما يصادفها .. فى انهيارات رهيبة ..
مكونة البقع الشمسية ..
منطقة مركزية داكنة تسمى الظل ..
محاطة بأخرى أكثر إضاءة .. شبه الظل ..
دوامة فى أتون الشمس المستعر !
راقب كابتن الفضاء هذا العالم الشمسى الخيالى ..
بدون رعب .. أو خوف ..
وارتفعت موجتان هائلتان يصل ارتفاعهما إلى آلاف الكيلومترات ..
واندفعتا مع بعضهما .. عبر مساحة هائلة ..
ثم تقابلتا بعنف ..

ومن جراء اصطدامهما المروّع ..
تولّدت ألسنة شمسية ..
انفجرت إلى أعلى ..
فى نهر متدفق جبار من اللهب !

★ ★ ★

شعر كابتن الفضاء بأنه مسجون فى هذه التيارات الرهيبة ..
قاومها .. ووجد أن بوسعه الوقوف ضدها ..
وأحس بسعادة .. وفخر .. فى قوته الذاتية الجديدة ..
ترك نفسه يذهب حرًا ..
وأخذته التيارات .. ولفته معها إلى أعلى ..
بسرعة الضوء ..
إلى ما وراء هالة الشمس ..
بعيدًا فى أعماق الفضاء الخالى ..
ثم اخذ يدور .. ويلقى نظرة سريعة على كواكب المجموعة الشمسية ..
البعيدة .. المتلألئة بالضوء ..
وعادت إلى ذاكرته مهمته هنا ..
وكيف أنه تخلص من شكله البشرى ..
للقيام بمهمة محددة ..
هى إنقاذ د. (مدحت) ..
من مصير مجهول !

ـ ٩ ـ

غاص كابتن الفضاء خلال الضباب الشاحب ..
وموجات المدّ القرمزية ..
وحلّق فوق الكرة الضوئية .. النارية ..
بحثًا عن أبناء الشمس الآخرين !
طار فوق مساحات خيالية ..
لكنه لم يعثر على هدفه ..
ودخل منطقة تدور فيها دوامات هائلة ..
من البقع الشمسية العملاقة ..
فى اضطرابات مروعة من التيارات الكهربية .. والمجالات المغنطيسية !
هرب منها بسرعة ..
ووجد نفسه يصرخ فى يأس :
ـ (مدحت) ! (مدحت) ! أين أنت ؟
صرخ ليس بلسانه أو بصوته ..
وإنما بقوة ذهنية ..
وعندما أدرك أنه يمكنه التحدّث بهذه الطريقة ..
ناداه مرّات عديدة ..
وهو ينطلق فى كل اتجاه ..
عبر محيطات النيران المتأججة ..

ونحو البؤرات الضخمة للعواصف الشمسية ..
وهو يرى البروتونات .. الجسيمات دون الذرية ..
التى تتكون منها .. :
ـ (مدحت) ! (مدحت) !
فجأة .. رد عليه شخص ما ..
سمع صوتًا واضحًا فى عقله ..
أو فى الجزء من كيانه الجديد الحساس ..
لاستقبال وفهم الأفكار :
ـ من الذى ينادى ؟
شاهد فى جو الشمس القرمزى ..
بقعة ذهبية ساطعة ..
أحد أبناء الشمس !
أخذ يطير تجاهه ..
وذهب ليقابل هذا الغريب ..
حلقا فوق المحيط المضطرم الذى يجرى عبر وجه الشمس ..
وهما يدوران .. ويرقصان كفراشتين خياليتين ..
ثم تحدثا ..
قال كابتن الفضاء :
ـ هل أنت .. أقصد هل كنت د. (مدحت شوقى) ؟
رد ابن الشمس الآخر بسرعة :

وهما يدوران .. ويرقصان كفراشتين خياليتين ..

ـ د.(مدحت شوقى) ! لا .. بين البشر كنت أدعى (توجا) كبير علماء كويكب (زوما) ! لكن ذلك كان منذ وقت طويل جدًا !

ساد صمت ثقيل ..

باستثناء الرعود الهادرة لصوت الاندماج النووى .. فى الشمس .. :

ـ ... هل أنت جديد هنا ؟

أجاب كابتن الفضاء :

ـ أجل !

عاد (توجا) يتساءل :

ـ هل مازالوا يحضرون من القلعة .. عَبْر أجهزة التحويل ؟

قال كابتن الفضاء :

ـ لقد طواها النسيان لسنوات طويلة .. ثم وجدها صديق لى .. وجاء إلى هنا من خلالها ! هل تعرفه يا (توجا) ؟ إن اسمه (مدحت شوقى) !

أجاب (توجا) بقوله :

ـ لا ! فدراساتى للشمس تجعلنى وحيدًا لفترات كثيرة .. إنها نموذج لكل نجوم مجرتنا (الطريق اللبنى) ! وبعد أن أنتهى منها سأذهب إلى مركز المجرة لدراسة الثقوب السوداء .. تلك الظاهرة الكونية المثيرة .. التى تلتهم آلاف النجوم كل عام !

وأتمنى أن أحقق كل هذا .. قبل أن يطوينى الموت !

التوت .. واثنتت نقطتان من النيران الحية ..

وتقلبتا فى الرياح الشمسية ..

المكونة من الجسيمات ذات الطاقة العالية ..

ثم تساءل (توجا) قائلاً :

ـ هل حرّمت أجهزة التحويل .. ونسيها علماؤنا ؟

أجابه كابتن الفضاء :

ـ أجل ! أصبحت محرّمة !

وأبلغ (توجا) أخبارًا كثيرة .. عن كويكب (زوما) .. معظمها مؤلم .. وحزين !

قال (توجا) وهو غارق فى أفكاره :

ـ أعلم أنه قد انتهى كل شىء .. الإمبراطورية والممالك النجمية .. الأمراء والقادة والعلماء !

ثم تموّج جسده الرقيق ..

وأخذ وضع الطيران .. قائلاً :

ـ الوداع ! ربما نتقابل مرة أخرى !

فصاح كابتن الفضاء :

ـ انتظر ! انتظر ! أنت لا تفهم ! فأنا لا أستطيع البقاء هنا .. ولا بد أن أجد صديقى .. ثم أعود معه !

ردّ عليه (توجا) بما يشبه السخرية :

ـ ترجع ! آه .. أنت جديد إذن ! أذكر أننى فكرت فى العـودة ذات مرة !

صمت فكره لبرهة طويلة ..

ثم استطرد بنوع من المتعة الحزينة :

ـ ... ابن الشمس الجديد ! هيا .. تعال .. سوف أساعدك لكى تعثر على صديقك !

وقاده عبْر محيطات النيران الرهيبة ..

والبحار المتأججة المتقدة ..

وتبعه كابتن الفضاء ..

ثم نادى (توجا) ..

وبسرعة خرج من وسط الحجب والسحب ..

رجلان آخران .. لحقا به ..

سألهما (توجا) :

ـ هل تعرفان شخصًا يدعى (مدحت شوقى) ؟ إنه جديد هنا !

ردّ أحدهما :

ـ أجل أعرفه ! لقد توغل كثيرًا فـى بـاطن الشمس .. ليقوم بدراسة العملية الحرارية النووية التى تنتج الطاقة الشمسية !

قال (توجا) :

ـ إن الضغط فى هذه المنطقة يعادل حوالى مليـون طن علـى السنتيمتر المربع الواحد .. ولكنه لا يؤثر فينا !

ثم أردف قائلاً لكابتن الفضاء :

ـ سوف آخذك إليه .. تعال معى !

وهبط مسرعًا إلى أسفل ..

داخل أتون النيران الجبارة ..

وللحظة خشى كابتن الفضاء أن يتبعه ..

ثم خجل من نفسه ..

فإذا كان د. (مدحت) ذهب من هذا الطريق ..

متحملاً المخاطر ..

فبوسعه أن يذهب هو أيضًا منه ..

وغاص إلى أسفل ..

بعد (توجا) المندفع إلى الأمام ..

إلى مركز الشمس ..

حيث تبلغ الحرارة ملايين الدرجات المئوية !

ـ ١٠ ـ

ارتفعت قمم موجات الهلاك واستقبلتهما ..

وابتلعتهما فى أعماق الذهب الدخانى ..

ودفعتهما داخل هوّات مروعة .. متأججة ..

ودخلا منطقة من المادة الكثيفة ..

بدت لكابتن الفضاء ..

كسباحة تحت مياه الشلال ..

وأحس بالضغط .. والمعاناة .. الهائلين ..

حيث اختلطت مادته الذاتية ..
بالوسط الذى يحيط به !
تعلق قريبًا من (توجا) ..
وبينما كانا يهبطان تدريجيًا فى أعماق الشمس ..
ازداد صخب الأعماق الذهبية ..
وسرت تيارات عنيفة ..
دخل (توجا) أحدها .. وواجه القوة المندفعة الجبارة ..
كرجل يسير ضد الريح ..
ويجد البهجة .. والنشوة فى المعركة !
لحق كابتن الفضاء به .. بصعوبة ..
ووجد قوته الذاتية تجيش فى سعادة .. وهناء ..
وبدأ اللون الذهبى يشحب .. ويجمع فى داخله ..
الدرجات اللونية الماسية .. ويسطع ثم يخبو ..
وأدرك كابتن الفضاء أن هناك وهجًا أمامه ..
أشد فظاعة مما رأى من نيران حتى الآن ..
لدرجة أن حواسه الجديدة صعب عليها احتماله !
ولم يكن خائفًا ..
فقد تجاوز هذه المرحلة ..
واهتزت الطاقة التى خلقت فى جسده شبه النارى ..
بوساطة موجات ذات قوة خفية ..
وزحف وراء (توجا) كطفل يحبو ..

إلى داخل مركز الشمس !

★ ★ ★

والذى سمى من قبل (مدحت شوقى) .. كان هناك ..
تحت تأثير خوف صامت ..
يلاحظ الإلكترونات الحرة .. والبروتونات النووية المنفصلة ..
والفوتونات المنطلقة إلى الخارج ..
إلى أعلى الطبقة المشعة للشمس ..
لتتولد الطاقة !
لم يعد كابتن الفضاء يفكر الآن فى د. (مدحت) ..
إذ إن عملية الاندماج النووى ..
وتحول الهيدروجين إلى هليوم ..
كانت تحطم أحاسيسه .. وتشتتها .. وتخدرها ..
اخترقت جسده الجسيمات دون الذرية الحرة ..
وملأته بألم فظيع ..
وأصيب برعب ذاتى .. واسع المدى ..
فالتغيرات النووية انفجرت بدون توقف ..
فى دوى هائل خفاق ..
والطاقة تنطلق بقوة مذهلة !

★ ★ ★

بدأ كابتن الفضاء يحس بالخطر المحدق به ..
وعرف أنه لو بقى هنا طويلاً ..

فلن يعود أبدًا !
كان عالمًا .. وكانت هذه أقصى درجة من العلم ..
وسوف يظل دائمًا ..
نشوان .. ومنبهرًا .. بإغراء المعرفة ..
يحيا هذه الحياة الخارقة ..
التى توجد فى هذه الطاقة المركزة ..
يعيش إلى آخر لحظات عمره ..
مع أبناء الشمس !
وهمس الإغراء فى أذنيه :
ـ لماذا تعود ؟ فلتبق هنا نارًا دائمة نظيفة .. حرًا فى أن تتعلم .. وتحيا !
تذكر رفيقيه اللذين ينتظرانه فى قلعة الأسرار ..
والوعد الذى قطعه على نفسه ..
تكلم أخيرًا بمجهود كبير :
ـ (مدحت شوقى) !
نشط ابن الشمس الآخر وقال :
ـ من ينادى ؟
وعندما أدرك عقله السابح فى عالم آخر ..
شخص المنادى ..
قال بشىء من الدهشة :
ـ كابتن الفضاء ! أنت هنا ؟

وتقابل الصديقان اللذان لم يعودا بشرًا ..
فى لقاء غريب بين النيران الشمسية المتأججة !
وضغط كابتن الفضاء على نفسه ..
لكى يفكر فى الهدف الذى أمامه .. وقال :
ـ لقد حضرت وراءك يا (مدحت) ! تبعتك لأرجعك إلى دنياك القديمة !
كانت إجابة الآخر عنيفة .. وتعبر عن تراجع غريزى ..
ـ لا ! لن أعود !
ثم تدافعت أفكار (مدحت) بحماس :
ـ انظر إلى هذه الروعة التى تحيط بك ! كيف يمكننى أن أترك هنا ؟ لا يا كابتن (عادل) .. إن أى عالم يتمنى أن يبقى هنا .. طول حياته !
شعر كابتن الفضاء أيضًا بالانجذاب الذى لا يقاوم ..
لمعرفة أسرار الشمس ..
والطاقة النووية !
وعرف تمامًا أنه سوف يخضع لها ..
ما لم يفر من هنا بسرعة ..
وشجعته المعرفة على التشبث بالنقطة الوحيدة المقنعة ..
التى يمكن أن تغير رأى د. (مدحت) :
ـ لكنك إذا بقيت فسوف تضيع كل المعرفة التى جمعتها هنا ! فأسرار الشمس .. باعتبارها أحد بلايين النجوم فى مجرتنا (الطريق اللبنى) ..

هى المفتاح إلى أسرار الكون وألغازه !
وأدرك كابتن الفضاء أنه على صواب ..
فقد كان هذا الحديث .. هو الوحيد الذى يمكن أن يغير هذا العالم ..
الذى قضى حياته فى تبادل المعرفة .. والبحث العلمى ..
وشعر بالشك .. والعذاب فى عقل (مدحت) ..
المعارضة .. وحتى الصراع بين العادات التى اكتسبها العقل ..
طوال حياته !

★ ★ ★

زمجرت رعود قلب الشمس حولهما ..
بينما سكن كابتن الفضاء منتظرًا ..
وأخيرًا قال د. (مدحت) بتردد :
ـ أجل ! يجب أن أعود لأسجل ما تعلمته فى هذه التجربة
المذهلة .. ولكن تريث للحظة ثم انفجر فى انفعال شديد :
ـ ... كيف أترك كل هذا ؟
قال كابتن الفضاء بهدوء :
ـ لا بد من ذلك يا (مدحت) !
وسادت فترة صمت بينهما .. ثم قال (مدحت) :
ـ إذا كان لا بد أن أذهب .. فليكن على الفور !
وعندئذ أدرك كابتن الفضاء أن (توجا) ما زال يحوم حولهما ..
وقال لهما :
ـ سوف أريكما الطريق !

طار الثلاثة إلى أعلى ..
من أعماق الشمس ..
شقوا طريقهم بسرعة مخترقين الكرة الضوئية الذهبية
متعددة الألوان ..
وتجاوزوا أمواج المد والجذر القرمزية الغاضبة ..
ثم اندفع كابتن الفضاء و د. (مدحت) إلى أعلى ..
مخترقين الحجب الخفاقة لهالة الشمس ..
ودخلا فى الفضاء الخالى !

ـ ١١ ـ

رأى كابتن الفضاء عبر الهاوية ..
وهو مصاب بدوار .. وحواسه المترنحة مضطربة .. ومشتتة ..
كويكب (زوما) على البعد ..
فاندفع بسرعة .. وبوساطة قوة عقله ..
جر معه (مدحت) المرتعد .. المترنح ..
وحدث الكثير الذى لا يمكن تحمله ..
فقد كان ذهن كابتن الفضاء شاردًا ..
بين الخيال الواسع .. وألم الحرمان ..
ومصاب بدوار من المرئيات .. والأصوات ..
التى لا يمكن لقدرة بشر أن تتحملها ..
كان تحركهما إلى كويكب (زوما) ..
أشبه بالحلم !

★ ★ ★

انطلقا كالبرق على طول الشعاع ..
داخلين فى الكويكب المجوف ..
وأدرك كابتن الفضاء إلى حد ما ..
الغابة .. والتلال .. وقلعة الأسرار ..
ومر الاثنان بجوار بعضهما ..
من خلال القوس الثلاثى ..
وغاصا فى أعماق الظلام ..
حيث كان الكمبيوتر الطائر .. والروبوت (فهد) فى انتظارهما ..
ذهب (مدحت) أولاً إلى الملفات المعتمة فى جهاز التحويل ..
ورآه كابتن الفضاء يدخل مجال القوة ..
وهو عبارة عن لهب رقيق ..
ويخرج منه .. رجلا !
رجلاً مترنحًا .. مصابًا بدوار ..
وأمسكه (فهد) بمجرّد سقوطه !
تبعه كابتن الفضاء إلى داخل الضوء الأخضر ..
الضارب إلى الزرقة ..
وعندئذ تخلص من كل إدراكه الواعى ..
ووجد نفسه يقف منتصبًا ..
وذراع (فهد) الضخمة تحيط به ..
بدا وكأن جسده من الرصاص ..

وأحاسيسه واهنة ..
والحياة داخله .. ضعيفة جدًا !

★ ★ ★

كان الروبوت (فهد) يصيح .. وهو يتحدّث إليه :
ـ كابتن (عادل) ! لقد عدت ! وأحضرت معك ....
صرخ الكمبيوتر الطائر بصوته الرنان :
ـ ... د. (مدحت شوقى) !
استدار كابتن الفضاء بسرعة :
ووجد أن (مدحت) استعاد وعيه ..
كان واقفًا يترنح فى وسط الحجرة ..
لكنه لم يكن ينظر إليهم ..
وإنما كان يحدّق فى جسده ذاته ..
ويرفع ببطء ذراعيه .. وكأنه يشاهدهما لأول مرة !
وكان وجهه ينطق بالاكتئاب .. والحزن ..
بشكل لم يره كابتن الفضاء .. على وجه أى إنسان من قبل ..
همس (مدحت) .. وصوته أجش واهن :
ـ لا أستطيع .. لا يمكن أن أكون هكذا مرة أخرى .. مسجونًا داخل الجسد .. لا !
وبعد أن قال ذلك ..
تحرّك بسرعة فائقة تجاه الملفات الطويلة الذهبية المشرقة ..

إلى جهاز التحويل !
وثب كابتن الفضاء مذعورًا .. لمنعه ..
إلا أن ساقيه الضعيفتين لم تتحملا ..
فسقط على ركبتيه فوق الأرضية ..
صاح قائلا :
ـ (مدحت) ! انتظر !
تحول وجه العالم الفلكى إلى شكل غريب ..
ينطق بالمعاناة .. والعذاب .. فى أثناء تقرير مصيره .. وقال :
ـ كابتن (عادل) ! إنك لم تمكث فوق الشمس طويلا مثلى !
ولهذا لا تشعر بمتعة الدراسة العلمية لأحد النجوم الذى يمتلئ بها الكون ! إننى لا أستطيع البقاء هنا !
ثم أردف قائلا :
ـ ... إنك سوف تفهمنى ! وتتذكرنى ! وداعًا !
وقذف نفسه إلى الأمام على المنصة ..
واختفى فى وهج من الضوء الذهبى ..
ثم انطلق نجم ساطع صغير .. إلى أعلى ..
تجاه القوس الثلاثى ..
ومضة سريعة .. حرة .. مبتهجة !
وأخذ (مدحت) يبحث عن الشعاع ..
الذى يمتطيه للوصول إلى الشمس !
وبأسفل على الأرضية المعتمة لقلعة الأسرار ..

ثنى كابتن الفضاء يديه ..
وأحاط وجهه بهما !

★ ★ ★

ارتفعت سفينة الفضاء (الشهاب) ..
بعد تشغيل محركاتها النووية ..
وزادت سرعتها .. وهى خارجة مبتعدة عن الغابة ..
تجاه الفتحة فى قشرة كويكب (زوما) ..
وجلس كابتن الفضاء أمام أجهزة التشغيل ..
يتذكر د. (مدحت شوقى) !
وكان وجهه متكدرًا من الأحداث الرهيبة التى مرت به ..
وتكمن فى عينيه الرماديتين .. نظرة غريبة غامضة ..
ظل الكمبيوتر الطائر .. والروبوت (فهد) صامتين ..
كما لو كان بينهما اتفاق ضمنى على هذا ..
بينما شقت سفينة الفضاء طريقها كالبرق .. خلال الفتحة ..
إلى داخل الوهج المجرد للشمس ..
كانت عينا كابتن الفضاء زائغتين ..
لكنه لم يستطع إبعادهما عن فلك النيران الجبار !
ثم تذكر ..
كيف نظر إلى الشمس المكشوفة من غير حجاب ..
وشاهد عمليات الاندماج النووى الجبارة ..
والتيارات الكهربية .. والمجالات المغنطيسية المروعة ..

ومحيطات النيران المتلاطمة ..
وألسنة اللهب الهائلة ..
والقلب النابض للشمس !
تساءل فى نفسه :
ـ هل سوف أتذكّر دائمًا .. الحرية والقوة التى شعرت بهما فوق الشمس ؟!
وأندم على عودتى ؟ وهل سأرجع يومًا إلى قلعة الأسرار لأمرّ بتجربة أبناء الشمس مرة أخرى ؟
وفى إنكار شديد ..
ضغط على أزرار زيادة السرعة ..
فقفزت سفينة الفضاء (الشهاب) إلى الأمام ..
تاركة وراءها كويكب (زوما) يتضاءل فى الحجم ..
حتى اختفى .. وأصبح مجرّد ذرّة دقيقة ..
لم تلبث أن ابتلعتها ..
نيران الشمس الأبدية !

★ ★ ★

- ١ -

أول مستعمرة فضائية .. فوق كوكب (الزهرة) ..

كان كل شخص تقريبًا .. يعيش فى القبة الرئيسية على الكوكب ذى الغلاف الجوى الكثيف ..

يمتلك قطعًا من بيض الكائنات الزاحفة .. التى تشبه التماسيح .. ولكنها أكبر حجمًا .. وتعيش فى مستنقعات كوكب (الزهرة) ..

ولذلك لم يكن لدىّ سبب حقيقى للقلق ..

عندما أحضر (فادى) بيضة كاملة ضخمة ..

وبها تلك البقع السوداء المميزة ..

ومع هذا سرت فى بدنى رعدة غريبة ..

فى اللحظة التى أخرجها فيها من حقيبته الجلدية ..

ووضعها بحرص على إحدى مناضد المستعمرة الفضائية ..

وبعد بضع ثوان من الصمت الثقيل ..

سألنى والدى :

ـ ما رأيك فيها يا (أشرف) ؟

أجبت محاولاً إخفاء عدم حماسى :

ـ إنها .. عظيمة !

والمشكلة أن (فادى) كان صديقى ..

لهذا لم أشأ أن أسبب له إحباطًا !

وأضفت قائلاً :

ـ أجل .. إنها رائعة حقًا ! أليس كذلك يا (مجدى) ؟

قال أخى الأصغر :

ـ إنها عادية ! ولكن ألم تستطع يا (فادى) .. إيجاد واحدة أجمل منها ؟

احمرت وجنتا أبى من الغضب وقال :

ـ (فادى) ! خاطر بحياته للحصول على هذه البيضة الثمينة !

قال (فادى) وهو يخلع جهاز تنفسه :

ـ إن (مجدى) و (أشرف) على حق ! على أى حال فمنظر هذه البيضة لا يبدو رائعًا .. أعرف ذلك .. ولكنها تختلف عن أى بيضة تمساح أخرى رأيناها .. هل تعرفون لماذا ؟

كانت البيضة ملطخة بشكل غريب ..

ولونها بنى باهت .. ضارب إلى البياض .. عليه بقع سوداء !

وكان غريبًا أننى كلما نظرت إليها ..

أشعر بوجود شىء ما .. غير عادى بالمرة !

كان (مجدى) يدور حول البيضة الضخمة ..

فى واحدة من حالاته القلقة .. وينظر إليها من كل جانب ..

ثم قال فى حيرة :

ـ أعتقد أنه يجب أن يكون لها سيقان مختبئة فى الداخل !

صحت فيه بعد أن نفد صبرى .. إذ إن أخى الأصغر يسبب لى أحيانًا ضيقًا .. وتوترًا فى الأعصاب :

ـ ألا ترى ؟

تساءل (مجدى) فى براءة :

ـ أرى ماذا ؟

قلت مؤكدًا :

ـ إنها حية !

وبمجرد أن تكلمت .. أمكننى تصوّر وجود تمساح وليد .. كامل التكوين ..

يتحرك فى داخل البيضة .. وينمو فى الحجم كل ثانية ..

منتظرًا اللحظة المناسبة .. لكسر البيضة .. والخروج إلى كوكب الزهرة !

أومأ (فادى) برأسه وقال :

ـ لكن ألا يموت ؟

قال أبى :

ـ يصعب قول ذلك ! إن عمره لم يتعد بضعة أيام الآن ! وهذه البيضة وضعت منذ ثلاث ساعات فقط !

أطرق (فادى) برأسه قائلاً :

ـ لقد استخدمت مسدس الليزر لإنقاذ حياتى .. من هجوم الأم !

قلت :

ـ يسرنى أنك لم تقتلها !

رد أبى قائلاً :

ـ الذى يحدث فى مثل هذه المواقف .. أن تقتل أو تتعرض للموت ! وبالنسبة للبيضة أعتقد أن أفضل شىء وضعها فى حالة تجميد شديد .. حتى نعود إلى القبة الرئيسية !

استدرت إلى والدى وتساءلت :

ـ ثم ماذا ؟

أجابنى بقوله :

ـ حتى الآن لم تفقس أى بيضة لتلك الكائنات فى جوّنا هذا .. والاحتمالات هى أن تختنق حتى تموت .. لأن نسبة غاز النيتروجين فى هواء المستنقعات أعلى بكثير منها هنا !

صاح (مجدى) وهو ينظر إلى البيضة من مسافة قريبة :

ـ آمل أن يعيش الكائن .. وعندئذ أحتفظ به كحيوان أليف !

وارتكز بمرفقيه على المنضدة .. ودفن ذقنه بين يديه وأردف :

ـ ... سأكون أول شخص فى مستعمرة الفضاء كلها .. لديه تمساح أليف !

مر أبى بأصابعه خلال شعر (مجدى) وقال ضاحكًا :

ـ لا تنس أن هذه كائنات تشبه التماسيح ! وليست تماسيح فعلاً ! ومع هذا سوف نبحث الموضوع .. لكن ألا ترى أنه من الأفضل استشارة والدتك فى الأمر ؟ والآن دعونا نأكل شيئًا قبل أن يحين اتصالنا بها بالفيديو !

وبرغم أننى لم أنطق بكلمة واحدة فى ذلك الوقت ..
إلا أننى كنت الوحيد الذى شعر بالقلق .. بشأن بيضة التمساح ..
ولم أتوقع أن يلاحظ أبى شيئًا ..
فقد كان عالمًا فى الفلك .. ولا يهتم بأى أمر ..
لا يمكن قياسه .. ووصفه بتعبيرات علمية .. دقيقة !
وكان مساعده (فادى) مثله تمامًا ..
والواقع أن هذا أمر طبيعى .. عندما تعيش على كوكب معادٍ .. مثل (الزهرة) .. هواؤه مميت للبشر ..
لدرجة أنهم اضطروا لإنشاء قبة عملاقة شفافة ..
فوق المستعمرة الفضائية كلها ..
ومنلها بجو يصلح للتنفس .. ويمكن التحكم فيه إراديًا ..
وفى هذه الظروف .. كل ما تحتاج إليه هو الإرادة .. والحلول العملية .. وليست الألغاز والأسرار ..
وقد كانت بيضة التمساح .. لغزًا !

★ ★ ★

وفى الحقيقة فى ذلك الوقت .. كان كل شىء خارج القبة الرئيسية لغزًا بالنسبة لى .. وأدهشنى أن (مجدى) لم يشعر بمثل إحساسى هذا ..
فقد كبرنا ونحن لا نسمع سوى الهمهمة المنتظمة لأجهزة توليد غاز الأكسوجين ..

وها نحن أولاء الآن فى الخارج .. للمرة الأولى ..
وها هو ذا يثرثر كما لو لم يكن متأثرًا بأى شىء ..
إنه فى العاشرة من عمره .. ولو أن ذلك ليس عذرًا ..
أما بالنسبة لى .. فقد كان سطح كوكب الزهرة ..
بغاباته الكثيفة التى تغوص فى مياه مستنقعات لا حدّ لها ..
يشبه ألف صوت هامس بأسرار غامضة ..
ونداءات حيوانات وطيور وحشرات خفية ..
وصفير رياح عاتية خلال أوراق الأشجار ..
ويتوج كل هذا .. شمس ضخمة فى سماء غريبة ..
تصدر وهجًا خافتًا .. خلال سحب وطبقات كثيفة من الرمال والغبار .. وغاز ثانى أكسيد الكربون .. وغازات الهيدروكربونات ..
والآن .. بيضة التمساح !
وبرغم أننى عرفت أن (فادى) مساعد والدى .. وضعها بأمان .. وحرص .. فى الوعاء المعدنى الذى توضع فيه العينات المراد تجميدها ..
فى النيتروجين المسال .. فى درجة ١٦٩ تحت الصفر !

★ ★ ★

كنت لا أزال أشعر بشىء ما ينبعث من البيضة ..
كما لو كانت تنقل إشارات خفية ..
لا يستطيع عقلى أن يتلقاها .. أو يفك شفرتها ..

مهما بذلت من جهد !
وبينما أنا ممدد فوق سريرى .. فى الخيمة ذات الجو المكيّف ..
الذى يمكن السيطرة عليه ..
اعتقدت فجأة .. أننى سمعت صوتًا قريبًا .. غريبًا ..
فرفعت نفسى على مرفقى .. لكى أنظر حولى ..
كان والدى و (فادى) منهمكين فى عملهما .. على البعد ..
و (مجدى) فى سبات عميق ..
ها هو ذا الصوت مرة أخرى .. يبدو لى قويًا .. كشىء يزحف ..
وقادم من جوانب كثيرة !
تحدثت فى جهاز الاتصال .. بحدة :
ـ أبى !
رد أبى بسرعة :
ـ ما الأمر يا (أشرف) ؟
قلت فى همس :
ـ هناك صوت قوى فى الخارج !
رد أبى قائلاً :
ـ ربما كان هذا صوت الريح ، و ..
ثم توقف .. عندما سمع الصوت الزاحف ..
فقال لمساعده (فادى) :
ـ .. يبدو أن شخصًا ما يذرع المكان خارج الخيمة .. علينا أن نحضر الأنوار .. ونستقصى الأمر !

لمس (فادى) مفتاحًا على مولّد النيتروجين ..
وفجأة .. لمعت جدران الخيمة بلون أبيض .. وتكونت دائرة من الضوء حول الخيمة ..
وكانت هذه الأضواء عالية الشدة ..
هى دفاعنا الأساسى .. ضد الكائنات الغريبة الزاحفة .. المفترسة ..
والتى تعيش فوق كوكب الزهرة !
وكان أبى يقول لى دائمًا :
ـ الضوء يخيف تلك الكائنات ! فالخوف دائمًا هو أفضل سلاح ضدها ! تذكر ذلك !
لكننى فى تلك اللحظات .. لم أستطع أن أمنع نفسى من تصور ما يمكن أن يحدث لنا ..
إذا لم تخف تلك الكائنات الرهيبة .. من الضوء !
وماذا يفعل أربعة أشخاص .. رجلان وصبيّان ..
ضد قطيع كبير من هذه التماسيح الضخمة !
وارتعد جسدى .. عندما فكرت فى الوحوش التى تطوف بالمكان .. خارج الخيمة !

ـ ٢ ـ

دخل أبى الخيمة مرتديًا جهاز تنفسه .. والتقط مسدس الليزر وقال :

ـ ابق فى الخيمة يا (أشرف) ! ولا تقلق على أى شىء !

ثم انتظر حتى استعد (فادى) أيضًا .. وخرج الاثنان معًا ..

جلست على فراشى .. مرهفًا السمع .. فى محاولة لفهم ما يحدث حولى ..

لكن بخلاف صراخ أحد الطيور على بعد .. لم أسمع أى شىء آخر ..

كان (مجدى) ما زال نائمًا ..

وأخيرًا .. لم أعد أتحمل هذا الصمت ..

فعبرت الخيمة إلى الصندوق الذى توضع فيه أجهزة التنفس ..

وارتديت أحدها .. إذ وجدت أنه من غير المجدى البقاء فى الداخل ..

تسللت خارجًا من الحاجز الهوائى .. إلى سطح كوكب الزهرة ..

ووجدت نفسى أطرف بعينى .. لأعتاد على إضاءة المصابيح القوية ..

بدت الأشجار ذات لون أبيض غريب .. وسط خلفية من السماء السوداء ..

وعلى طول التلال والبراكين .. انتشر ضباب شاحب مختلط بالظلام الحالك !

قال والدى من خلال جهاز الاتصال داخل خوذتى الشفافة :

ـ أظن أننى أمرتك بالبقاء فى الخيمة ! والآن ارتد إلى الظلال !

قلت مترددًا :

ـ أردت أن أعرف ما الذى يحدث !

رد أبى مؤكدًا :

ـ لا شىء يحدث ! إذا كان هنا أى كائن .. لابد أنه اختفى عندما ظهرت الأضواء !

قلت بإصرار :

ـ إن الأمر أكثر من ذلك يا أبى ! لقد سمعت أصوات الكائنات الزاحفة .. كانت خارج الخيمة من كل النواحى !

تريث أبى للحظة ثم قال :

ـ الأرجح أنه مجرد خيال جامح ! إن رأسك يا (أشرف) ملىء بالأحلام !

هيا نرجع الآن !

ونادى مساعده :

ـ .. (فادى) ! راقب كل ما حولك .. إننا سندخل الخيمة .. لكن اترك الأنوار مضاءة فهذا أفضل ! لا يوجد مبرر للمخاطرة !

★ ★ ★

وعندما عدنا إلى داخل الخيمة .. جاء أبى وجلس بجوارى وقال :

ـ أنت تعرف يا (أشرف) .. أن أكبر خطر على أى بعثة فضائية هو تضارب اهتماماتك مع زملائك .. ألم أخبرك بأن تظل فى الخيمة ؟

قلت وأنا أشعر بالذنب :

ـ أجل يا أبى ! ولكن ..

نظر أبى إلىّ وقال :

ـ يجب أن تطيع الأوامر !

نهض والدى وأردف :

ـ .. لا تدع هذا يحدث مرة أخرى !

همست قائلاً :

ـ أبى ! بخصوص بيضة التمساح !

لكنه قاطعنى .. وقال بثبات :

ـ (أشرف) ! اذهب الآن للنوم ! لا شىء سوف يحدث للبيضة .. وهى فى حالة التجميد الشديد !

أطعت أوامر أبى .. فاستدرت فى الفراش .. وأغلقت عينى ..

★ ★ ★

وفى الصباح التالى .. عرفت أننى على صواب بخصوص الكائنات ..

التى كانت تجول حول الخيمة ..

الحزوز التى فى التربة .. بدت واضحة تمامًا ..

والنباتات كانت محطمة !

نظرت إلى أبى .. لكنه كان مصممًا على تجاهل هذا الموضوع ..

قال من خلال جهاز الاتصال .. وهو يشير إلى الخارج :

ـ سنذهب إلى المستنقع هناك .. لنرى ما وراء الصخور .. على أن يلعب (أشرف) و (مجدى) بالقرب منا .. حتى ننتهى من أبحاثنا ..

صحت بارتياح عندما سمعت هذا ..

واندفعت مع (مجدى) هابطين على المنحدر ..

ووصلنا معًا إلى المستنقع الكبير ..

ألقيت بنفسى على العشب لكى ألتقط أنفاسى ..

بينما وقف (مجدى) يتأمل الأشجار المحيطة بنا .. قريبًا من المستنقع ..

وعندما نظرت خلفى إلى أعلى التل ..

شاهدت أبى و (فادى) يهبطان بحذر ومعهما جهاز الرصد الإلكترونى ..

وبعض المعدات الفلكية الأخرى ..

فجأة .. صرخ (مجدى) بصوت رهيب فى جهاز الاتصال .. ألقى الرعب فى جسمى كله :

ـ (أشرف) ! أسرع .. كائن يهاجمنى !

استدرت لكى أراه يتقهقر مبتعدًا عن المستنقع مذعورًا ..
بينما يزحف تمساح أصفر عملاق خلال الأعشاب .. بسرعة ..
متجهًا ناحيته !
صرخت فى هلع :
ـ (مجدى) ! اركض إلى أعلى التل ! اركض بسرعة !
لكنه تحرك ببطء شديد ..
كما لو أن أسنان الكائن العملاق .. قد نومته مغناطيسيًا !
حتى اصطدم بجذع شجرة .. وتوقف ..
كنت أراقب ما يجرى وأنا مذهول .. ولا أستطيع التحرك ..
لسبب مجهول !
ثم رأيت تمساحين آخرين يبرزان من الماء ..
واحد على كل جانب منه ..
وبدأت أفهم ما الذى يحدث ..
لقد حوصر (مجدى) بشكل لا مهرب له منه !

ـ ٣ ـ

برقت أشعة الليزر التى أطلقها أبى و (فادى) بين الأشجار المحيطة ..
فى محاولة منهما لإخافة الكائنات الزاحفة وإبعادها ..
لكن أكبرها ذا العينين الكئيبتين .. البارزتين .. القرمزيتين فى رأسه الصفراء .. المنقطة ..

ثم رأيت تمساحين آخرين يبرزان من الماء ..

رفع ذيله الضخم .. وجأر فى نصر .. قبل أن يقبض على (مجدى) بفكيه القويين ..

ويعود بسرعة تجاه المستنقع مرة أخرى !

★ ★ ★

كان علىّ أن أفعل شيئًا ..

ـ فلم أستطع الوقوف هناك أراقب فقط ما يجرى ..

وخطرت لى فكرة جنونية !

هى محاولة خطف (مجدى) .. من بين هذه الأسنان اللامعة .. المخيفة ..

لكن فى أثناء محاولتى الركض إلى الأمام ..

فوجئت بتمساح آخر .. يرفعنى عاليًا فى الهواء .. وإلى الخلف ..

ويهزنى بعنف .. حتى توقفت عن المقاومة ..

سمعت طلقات قذائف الليزر من حولنا ..

ولكن التمساحين حملانا بين فكيهما .. وغاصا فى المستنقع !

ومن وقت لآخر أخذت أنظر إلى (مجدى) .. وهو راقد كالميت بين فكى التمساح العملاق .. وناديته قائلاً :

ـ (مجدى) ! (مجدى) ! افعل شيئًا ! اركله بقدميك !

لكن إما أنه كان فاقدًا لوعيه .. أو أن صوتى كان أضعف من أن يسمعه ..

كما أن أسنان آسرى .. كانت تحز فى جسدى أسفل ضلوعى .. مما جعلنى أتنفس بصعوبة !

وتساءلت فى نفسى :

ـ لماذا بقينا أحياء ؟

فمما سمعته أن تلك الكائنات الزاحفة التى تشبه التماسيح العملاقة .. تلتهم ضحاياها ..

أما الآن فيبدو أن التمساحين يريدان أخذنا .. أسرى !

ولم نكن نعرف حتى هذه اللحظة ..

أن هناك حياة عاقلة على كوكب (الزهرة) !

ولذلك فى أثناء اقترابنا من مستنقع آخر .. اشتبك فجأة فرع بارز لإحدى الأشجار .. بأربطة جهاز تنفس (مجدى) وجذبه معه !

وصرخت ـ برغم أننى كنت أعرف أن لا فائدة من ذلك ـ ولن يمكن لأحد أن يساعده :

ـ إنه سوف يموت بدون جهاز تنفسه !

وقف أحد التماسيح .. ومد ذيله لكى يلتقط جهاز التنفس من فرع الشجرة ..

وشعرت بالرعب والدهشة فى وقت واحد ..

عندما رأيت ما يفعله التمساح ..

فقد كان يحاول جذب جهاز التنفس .. ووضعه على رأس (مجدى) !

لكن حركة الكائن الزاحف .. كانت غير دقيقة .. فسقط الجهاز مرة أخرى ..

وصدر أمر لى :

ـ افعل ذلك أنت !

تكونت هذه الكلمات فى عقلى .. دون أن ينطقها أحد !

ـ .. يجب ألا يموت .. نحن فى حاجة إليه !

وقبل أن أفهم ما الذى يحدث ..

وجدت نفسى أسقط بقوة على أرض الكوكب العشبية ..

كان (مجدى) يبذل جهدًا كبيرًا لكى يتنفس ..

بدا متألمًا .. وهو يزدرد فى فمه .. كميات كبيرة من الهواء السام ..

وكان وجهه متورمًا .. وغير طبيعى ..

نجحت فى ثوان .. فى وضع جهاز التنفس على رأسه ..

وثبته بجذب الأربطة إلى مكانها الصحيح ..

وأخيرًا .. بدأ يتنفس بهدوء .. بل وفتح عينيه للحظة .. وقال :

ـ (أشرف) !

ثم أصيب بالدوار مرة أخرى .. عندما شاهد التماسيح حولنا ..

وفى هذه اللحظة تكونت كلمة فى عقلى :

ـ تعال !

إن الكائنات الزاحفة تتصل بى ثانية !

حاولت أن أقول لنفسى .. وأنا أرتعد من الرعب :

ـ أنا لا أصدق ذلك ! إن هذا لا يحدث .. إنه مجرد حلم فظيع .. كابوس !

لكن التماسيح التقطانا نحن الاثنين .. وحملانا عبر المستنقع .. إلى جزيرة صغيرة ..

وألقتنا على أرضها .. ونحن مبللين .. ومنهكين تمامًا ..

بذلت مجهودًا كبيرًا لكى أجلس منتصبًا ..

لكن (مجدى) رقد ممددًا .. يئن ويتألم ..

وتهادى كائن زاحف عملاق فى حركته حولنا ..

وهو يهز ذيله الضخم بشكل خطر ..

ثم توقف أمام (مجدى) ولمس جهاز تنفسه بيده :

ـ هل هذا يساعده على الحياة ؟

ثار هذا السؤال فى ذهنى مرة أخرى ..

دون أن أسمع أى صوت ..

وكنت قد قرأت عن تجارب بشرية فى الاتصال التخاطرى .. التليباثى ..

إلا أن معظمها فشل .. فى إطار ما يطلق عليه (الباراسيكولوجى) !

لكن هذه الزواحف العاقلة .. تستخدم التخاطر لنقل رسائل .
مترابطة .. منطقيًا ..
حاولت (التفكير) فى إجابة .. دون أن أنطق بكلمة ..
وكانت النتيجة أن السؤال تكرر فى ذهنى :
ـ .. هل هذا يساعده على الحياة ؟
قلت بصوت عال :
ـ أجل ! إنه جهاز توليد أكسوجين !
لا أظن أن الكائن الزاحف .. أنصت إلى صوتى ..
لكن كان لدى انطباع بأن عملية التحدث ..
قويت نوعًا ما .. من الإشارة العقلية التى كنت أرسلها ..
استطردت قائلاً :
ـ .. إن تأثيره يستمر لنحو عشرين ساعة .. ثم لابد من تغييره !
عرفت أن إجابتى وصلت للكائن .. لأن الإحساس التالى ..
كان يشبه تكوّن سؤال كبير داخل عقلى ..
ـ ما معنى عشرين ساعة ؟
أعطيت الإجابة الصحيحة .. لكن التمساح العاقل .. لم يفهم كلمة منها !
حاولت أن أشرح بقولى :
ـ حتى هبوط الليل !

غطى ضباب متحرك المستنقع .. وأخفى الشكل العام للأشجار ..
التى ارتفعت عالية فوق الماء .. على جذور طويلة تشبه السيقان ..
ولمحت بينها عيونا تراقبنا ..
وتدريجيًا أدركت أن مئات التماسيح تحيط بالجزيرة ..
تنتظر وتراقب .. وتفتح فكوكها القوية من وقت لآخر ..
لتكشف عن أسنانها اللامعة .. البيضاء .. الحادة !

ـ ٤ ـ

الآن .. كان بوسعى التحدث مع الكائنات الزاحفة ..
وببساطة أحسست أننى لم أعد خائفًا منها ..
ـ ما الذى تريدونه ؟
جاءت الإجابة سريعة .. قاطعة .. وفى كلمة واحدة داخل عقلى :
ـ البيضة !
وفجأة .. دبت الحياة فى المياه من حولنا ..
عندما هزت مئات التماسيح ذيولها فى انفعال ..
وقرضت على فكوكها القوية !
ولكن ظل التمساح العملاق الذى حمل (مجدى) ساكنًا ..
ينظر إلىّ بلا مبالاة ..
لم تتكون أى كلمات فى رأسى هذه المرة ..
لكننى أحسست بالفكرة التى كان ينقلها ..
كنا خاضعين تمامًا لسلطان هذا الكائن الزاحف .. الهائل ..
ولم يكن ليتردد فى قتل كلينا ..

إذا حدث أى ضرر للبيضة !
وقد احتفظ بأخى الصغير (مجدى) كرهينة ..
لحين إعادة البيضة ..
وقد فهمت أن هناك شيئًا خاصًا جدًا فى الكائن الذى سيولد ..
ويخرج من هذه البيضة بالذات ..
وقد ذكرت كلمات مثل (أمير) أو (ملك) أو (زعيم) ..
ولكن الكائنات رفضتها كلها ..
واضطررت للبدء من جديد !
نقل إلىّ التمساح العملاق .. علامة استفهام محيرة ..
كما لو كان لا يفهم أحاسيس الأخوة .. والمحبة ..
عندما قلت له :
ـ خذونى رهينة بدلاً من أخى !
ثم ناشدت الكائنات قائلاً :
ـ ... أنا الوحيد الذى يمكن أن يتصل بكم ! بين جميع البشر ..
هذا شىء لم يسمع به أحد ! فلم يتمكن أى إنسان .. من الاتصال التخاطرى من قبل !
كانت الإجابة الوحيدة التى حصلت عليها لهذا القول :
ـ عد .. وأحضر البيضة .. وخذها إلى حافة المستنقع ..
وسنكون فى انتظارك مع أخيك !
لم أعترض .. بل وافقت الكائن الزاحف .. فحملنى بين فكيه .. وغاص فى مياه المستنقع ..

وكنت أحس بأسنانه تلتف حول وسطى ..
وأى ضغط زائد .. كان سيؤدى بلا ريب إلى تقطيع جسدى .. إلى جزأين !
وبدأت رحلة العودة الرهيبة ..
بينما بقى (مجدى) فوق الجزيرة .. يكاد لا يعى شيئًا مما حدث !

★ ★ ★

لمحت والدى و (فادى) وهما يبحثان عند حافة المستنقع ..
وربما كانا يأملان فى اكتشاف بعض الأدلة ..
ولم أشعر فى حياتى بمثل السعادة التى أحسست بها ..
لرؤية والدى .. ووجهه الودود يطل على بابتسامته المشرقة :
ـ (أشرف) ! أحمد الله على أنك بخير ! أين (مجدى) ؟
ووجدت أنه من الصعب عليه أن يصدق عينيه ..
أجبته باهتمام :
ـ إنه بخير يا أبى ! لكن يجب علينا عمل ما تريده الكائنات الزاحفة .. ليعود إلينا !
نظر (فادى) إلىّ بارتياب .. ثم لف ذراعه حول كتفى ..
وقال أبى بحنان :
ـ هيا بنا إلى الخيمة .. لتغير ملابسك .. وتقص علينا كل شىء !

★ ★ ★

استدعوا مركبة فضائية خاصة .. ونقلونى إلى القبة الرئيسية ..
وأدخلونى إلى المستشفى ..
وكان كل شخص يسمع قصتى .. يقول :
ـ يتصل بالكائنات الزاحفة ! لابد أنه مجهد للغاية !
وكان الأمر خطيرًا !
فلابد أن يصدقنى شخص ما ..
وإلا مات (مجدى) هناك فى الجزيرة ..
إما بوساطة التماسيح .. أو لانتهاء الأكسوجين !
أعطانى (فادى) شرابًا دافئًا .. وبعض الطعام ..
ثم قال لوالدى :
ـ إنه يهذى .. ولعله أصيب بالحمى ! ولا غرابة فى ذلك .. بعد كل ما حدث !
رد أبى بحدة :
ـ لكن إذا كانت هناك أدنى فرصة فى صحة ما يقوله ! أعلم أنها قصة غير ممكنة .. ولكن ..
تريث للحظة ثم أضاف قائلاً بتصميم :
ـ .. سوف آخذ البيضة إلى المستنقع !

ـ ٥ ـ

أعتقد أن شكوك أبى قد تبخرت ..
عندما شاهد أسراب التماسيح المحتشدة عند حافة المستنقع ..
منتظرة وصولنا !

قال لى أبى هامسًا :
ـ لا تقترب منها .. واترك البيضة على أرض عالية !
هززت رأسى .. وحملت البيضة بعناية بين يدىّ ..
واتجهت إلى الكائنات الزاحفة ..

قلت بصوت عال :
ـ ها هى ! لقد وفيت بوعدى .. وأحضرت البيضة !
وأخبرونى بالمكان الذى يريدون منى وضعها فيه .
ثم استدرت .. وتحركت التماسيح جانبًا .. لتدعنى أمر ..
وكان (مجدى) جالسًا بين الأعشاب .. يرتعد ..
انسلت الكائنات الزاحفة .. وغاصت فى المستنقع ..

وأخذت معها البيضة ..
وعدت مع أبى و(مجدى) إلى القبة الرئيسية للمستعمرة الفضائية ..
ولم أعرف أبدًا .. ما أهمية هذه البيضة للتماسيح العملاقة ..
ولكن لاشك أن لديهم أفكارًا تختلف تمامًا عن .. أفكارنا !
ومنذ ذلك اليوم .. لم تحاول الكائنات الاتصال بنا أبدًا ..
برغم أننى ذهبت إلى حافة المستنقع مرات عديدة ..
واتضح لى أن ميزة الاتصال بالتخاطر التى كانت لدىّ .. لم تعد موجودة ..
لأن كل القوة العقلية جاءت إلىّ .. من هذه الكائنات !
وأصبحنا نحترم خصوصياتها .. وهى تحترم خصوصياتنا ..
ونحن نعيش معها على كوكب (الزهرة) ..
ويتجاهل كل منا الآخر .. بأدب جم !
وعمومًا فهذه الكائنات الزاحفة التى تشبه التماسيح العملاقة ..
السكان الأصليون لهذا الكوكب ..
وعلينا أن نتذكر ذلك جيدًا !

★ ★ ★

سلسلة **نوفا** للخيال العلمى

الرحيل .. العظيم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٨٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠١٢

عاد إليه إدراكه ببطء ..
وشعر بالآلام والكدمات فى جسده ..
وبعقدة تعذبه فى معدته ..
مد ساقيه .. لعل ذلك يخفف من آلامه ..
إنهم لم يلمسوا شيئًا ..
وتأكد أن جسمه لا يرتكز على شىء ..
ظن أنه ميت !
إذ كان طافيًا بدون أى عائق فى الفراغ !
طافٍ !!
فتح عينيه .. ونظر حوله ..
أجل ! كان طافيًا .. وفوقه سقف .. أو لعلها الأرضية ..
وهو فى وضع مقلوب !
شعر برغبة ملحة فى الصراخ ..
طرف بعينيه .. وبدأت المرئيات حوله تتضح أكثر ..
عرف أنه فى سفينة فضاء متحركة ..
وكابينتها فى حالة يرثى لها من الخراب ..
الصناديق والأجهزة والآلات طافية حوله .. فى كل اتجاه ..
والمؤكد أنها تحررت من أربطتها .. ووسائل تثبيتها ..
تحت تأثير قوة ضخمة مفاجئة ..
وتبعثرت على الأرضية .. سلوك محترقة ..

كما انصهر صف من الخزانات على طول أحد الجدران ..
حَدق فيما حوله لكن دون أن يعود إليه وعيه الكامل ..
وبقدر ما يعلم فإنه يرى كل شىء ..
للمرة الأولى !
رفع إحدى يديه وضغط على السقف إلى أعلا ..
حتى تمكن بعد جهد من الإمساك بسياج مثبت فى جدار ..
ثم حاول أن يفكر جيدًا ..
قال بصوت عال لمجرد أن يسمع صوته :
- يوجد تفسير منطقى لكل هذا .. وما علىّ إلا أن أتذكر جيدًا ..
حاول أن يتذكر اسمه .. ولكن دون جدوى !
صاح قائلاً :
- هل يوجد أى شخص هنا ؟
تردد صدى كلماته بين جنبات الجدران الضيقة ..
لسفينة الفضاء ..
دون أن يسمح ردًا ..
رفع نفسه عَبْر جانبى الكابينة ..
وهو يحنى رأسه لكى يتفادى الصناديق الطافية ..
وبعد نصف ساعة عرف أنه الشخص الوحيد على متن السفينة ..
يسافر فى رحلة غامضة ..
إلى مكان مجهول فى الكون !

- ١ -

وجد أخيرًا غرفة قيادة سفينة الفضاء ..
جلس على مقعد جلدى وثير ..
وأمامه لوحة تشغيل طويلة ..
ربط نفسه بالأحزمة ..
وأخذ يدرس اللوحة التى أمامه ..
كانت مكونة من شاشتين خاليتين ..
إحداهما أكبر من الأخرى ..
وتحت الشاشة الكبيرة يوجد زرّان .. مكتوب بجوارهما ..
(رؤية أمامية) ... و (رؤية خلفية) ..
وأسفلهما قرص لضبط تركيز الصورة ..
أما الشاشة الصغيرة ..
فكانت غير معلمة بأية وسيلة ..
وعندما لم يعثر على أى وسائل تشغيل .. وتحكم أخرى ..
ضغط على زر الرؤية الأمامية ..
أضاءت الشاشة الكبيرة ..
وأظهرت الفضاء الأسود المرصع بنقاط متلألئة ..
لم تكن سوى النجوم التى أمامه ..
ظل يحملق فى هذا المشهد لفترة زمنية طويلة ..
وهو فاغر فاه ..

ثم استدار بوجهه مبتعدًا عنها ..
قال لنفسه :
- إننى رجل .. وفى سفينة فضاء .. منطلقة عبر الكون .. وأنا أعرف ما هى النجوم والكواكب .. والآن سوف أرى ما يمكننى التوصل إليه !
كانت لديه معرفة سطحية بعلم الفلك ..
وأقل من ذلك فى الفيزياء والكيمياء ..
تذكر بعض القطع الأدبية العالمية ..
وأسماء مؤلفى عدة كتب ..
لكنه لم يستطع تذكر محتوياتها .. أو موضوعاتها ...
عرف اسم الحالة التى يعانيها :
(فقدان الذاكرة) !

★ ★ ★

فجأة .. شعر برغبة عارمة فى رؤية نفسه ..
والنظر إلى وجهه ..
وبالطبع سوف يلى ذلك معرفته لنفسه ..
ورجوع ذاكرته إليه ..
أخذ يبحث عن مرآة ..
كانت هناك خزانات معدنية داخل الجدران ..
فتحها على عجل .. وألقى بمحتوياتها فى الهواء ..

عديم الوزن .. حيث لا جاذبية !

وفى الخزانة الثالثة .. وجد أدوات حلاقة .. ومرآة صغيرة من الصلب ..

درس انعكاسها بتوتر ..

وجه كئيب غريب .. خال من أى لون أو حيوية ..

وتنتشر على ذقنه شعيرات سوداء .. لم تحلق بعد ..

وشفتان جافتان .. باردتان ..

وعينان مجهدتان ..

إنه وجه رجل غريب !

كبح جماح نفسه حتى لا يسيطر عليه الذعر ..

ثم اتجه إلى كابينة القيادة ..

باحثًا عن أى دليل على شخصيته أو هويته المفقودة ..

أخذ يعبث بأصابعه فى الصناديق .. والحقائب الطافية فى الهواء ..

ولم يلبث أن أزاحها جانبًا بعنف ..

بعد أن وجد أنها لا تحتوى إلا على الطعام أو الماء ..

وأخذ ينظر حوله .. لتجميع كل المعلومات المتاحة له ..

ثم رؤية ما يستطيع استنباطه منها ..

كان ينساب فى أحد أركان الكابينة ورقة كبيرة الحجم .. نصف محترقة ..

كان ينساب فى أحد أركان الكابينة ورقة كبيرة الحجم .. نصف محترقة ..

أمسك بها وبدأ يقرأ منها :

ـ عزيزى (شوكت) .. .

مازال باحثو الكيمياء الحيوية ..

يقومون ببعض المراجعات السريعة على العقّار الخماسى ..

ويبدو أنه بسبب فقدان الذاكرة ..

وأنت تعانى الآن أحد تأثيرات العقّار القوى ..

وعلى أى حال فإننى أبادر بذكر هذه الملاحظة ..

فى الوقت ١٤ دقيقة قبل الصفر !

وأولاً لا تبحث عن أى وسائل تشغيل وتحكم ..

فكل شىء يعمل تلقائيًا .. أو المفترض أنه كذلك ..

ولا تَلُم الفنيين ... إذ لم يكن أمامهم عمليًا أى وقت ..

لكى ينتهوا منها .. ويبتعدوا قبل لحظة الانفجار الهائل !

إن مسارك بسفينة الفضاء مضبوط على مجموعة كوكبية فى مجرة أخرى ..

ولذلك فما عليك إلا أن تجلس يقظًا ..

ولا تخش من الهبوط بين مخلوقات عجيبة شبه بشرية ..

لأنه من المؤكد .. أن هناك كائنات عاقلة فى الكون !

وربما تصبح مصدومًا أو منهارًا بعد الانفجار ..

إلا أن العقّار الخماسى .. سوف يساعدك على اجتياز هذه الفترة الصعبة ..

وإذا كانت الكابينة فى حالة فوضى ..

فإن ذلك لأنه لم يكن لدينا أى وقت للتحقق من كل شىء ..

ومن وجود تفاوت فى الإجهاد .. والانفعال ..

والآن .. لنتحدث عن مهمتك ..

اذهب على الفور إلى جهاز العرض رقم واحد .. فى الخزانة رقم خمسة عشر ..

وجهاز العرض مضبوط .. بحيث يدمر نفسه ..

بعد أن تشاهده مرة واحدة !

ولذلك تأكد من فهم ما سوف يعرضه عليك ..

ومهمتك هذه ذات أهمية فائقة يا دكتور (شوكت) ..

إن كل رجل وامرأة وطفل .. على كوكب الأرض معك ..

أرجوك ألا تخذلنا !

ـ ٢ ـ

كانت الورقة موقعة باسم شخص يدعى د.(كمال السيد) ..

وبدأ (شوكت) ـ الذى استخدم على الفور الاسم المكتوب فى الخطاب ـ يبحث عن الخزانة رقم (١٥) ..

وبسرعة وصل إلى مكانها ..

ووقف هناك مصعوقًا من المفاجأة المذهلة !

فقد كانت الخزانات من رقم (١١) إلى (٢٥) مصهورة ومدمّرة ..

وتأكد من أن محتوياتها تالفة تمامًا !

وأصبحت الورقة نصف المحترقة هى وحدها .. التى تربطه بالماضى ..

وبعائلته .. وأصدقائه .. وكوكب الأرض كله !

وتمنى أن يجد سببًا أو تفسيرًا لفقدان الذاكرة ..

وتساءل فى نفسه :

ـ لكن ما معنى أن يطلقوا سفينة فضاء بمثل هذه السرعة ؟ ولماذا وضعوه داخلها وحيدًا .. طالما أن لهذه البعثة أهمية فائقة ؟

إن هذه الورقة أثارت من الأسئلة ..

أكثر مما أعطت من الإجابات !

★ ★ ★

قطّب د. (شوكت) جبينه ..

وذهب إلى لوحة أجهزة القيادة ..

شغّل الشاشة الكبيرة مرة أخرى ..

ونظر بإمعان إلى المشهد الخلاب للنجوم ..

وحاول أن يصل إلى منطق معقول .. من وراء كل هذا !

تساءل فى نفسه :

ـ لعل هناك مرضًا .. وأنا الشخص الوحيد الذى لم يصب به ! لقد صنعوا السفينة وأطلقونى إلى أعماق الفضاء ! والمهمة

هى الاتصال بكوكب آخر .. والعثور على علاج لهذا المرض .. والعودة به إلى كوكب الأرض !

يا له من أمر شديد السخرية !

نظر إلى لوحة الأجهزة .. وضغط على زر الرؤية الأمامية ..

امتلأت الشاشة كلها بضوء ساطع رهيب .. يعمى الأبصار ..

كاد يخطف بصره ..

وبسرعة خفض مجال التركيز ..

حتى استطاع تمييز ما يراه ..

إنه نجم فى مرحلة (نوفا) ..

انفجار كونى مثير ..

حيث يبدأ غلاف النجم فى التمدد ..

وتتحرك طبقة من الغاز الحار إلى الخارج ..

بسرعة ألف وخمسمائة كيلومتر فى الثانية !

وقد ذكر الخطاب لحظة الوميض الهائل ..

وأدرك د . (شوكت) أن الشمس هى ذلك النجم الذى تحوّل إلى (نوفا) ..

وأن كوكب الأرض ربما قد احترق تمامًا !

ـ ٣ ـ

لم يجد على سفينة الفضاء أى ساعة زمنية ..

ومن ثَمَّ لم تكن لدى د . (شوكت) أى فكرة عن المدة .. التى استغرقها فى سفره ..

ولفترة طويلة .. لم يفعل شيئًا .. سوى الاندفاع على غير هدى ..
وهو فى حالة دوار .. راجعًا إلى الشاشة الكبيرة باستمرار ..
وأخذت الشمس (نوفا) تتضاءل فى الحجم ..
كلما انطلقت السفينة شاقة طريقها فى الفضاء ..

★ ★ ★

كان (شوكت) يأكل ويشرب وينام ..
ويجوّل فى جميع أرجاء السفينة يفحصها .. ويعاينها ..
وكانت الصناديق والحقائب الطافية دائمًا فى طريقه ..
واضطر لجذبها إلى أسفل .. وتثبيتها بأى وسيلة متاحة ..
ومرت الأيام وربما الأسابيع بتوقيت الأرض ..
وبعد فترة بدأ (شوكت) فى وضع الحقائق التى عرفها فى إطار متناسق ..
حقًا ... ظهر به الكثير من الثغرات والتساؤلات ..
إلا أنه كان مجرد بداية !
لقد اختير للذهاب فى سفينة الفضاء ..
لكن ليس كقائد لها .. لأن السفينة كانت تعمل تلقائيًا تمامًا !
بل لسبب آخر .. وكان هذا سرًا غامضًا !
والخطاب أسماه (دكتور) !
دكتور فى ماذا ؟ لم يعرف ذلك قط ..
الذين صنعوا السفينة كانوا يعرفون أن الشمس .

بدأ يشتد ضياؤها على نحو غريب ..
والواضح أنهم لم يتمكنوا من إنقاذ أى جزء ملموس ..
من أعداد سكان الأرض ..
وبدلاً من ذلك ضحوا بأنفسهم وبكل شخص آخر ..
لكى ينقذوه !
وتساءل فى نفسه :
- لماذا أنا بالذات ؟
لأنه مفترض فيه أن يؤدى وظيفة عظيمة الأهمية ..
حتى إن كل إنسان سخر نفسه من أجلها ..
فائقة الأهمية لدرجة أن فناء الأرض ذاتها ..
اعتبر أقل أهمية ...
طالما أمكن إنجاز هذه المهمة !
وعاد (شوكت) يتساءل فى حيرة بالغة :
- ... ترى ما هى هذه المهمة الفريدة ؟ وما هو سرها الغامض ؟
لم يستطع تصور مهمة لها مثل هذه الخطورة الكونية ..
ولم تكن لديه أى نظرية أخرى يمكن أن تنظم خيوط الحقائق ..
التى عرفها وقتئذ !
حاول أن يعالج المشكلة ..
ويفكر فيها .. من وجهة نظر أخرى ..
فما الذى كان سيفعله لو عرف بأن الشمس ..

سوف تصبح (نوفا) .. فى فترة زمنية قصيرة ..
وأمكنه إنقاذ عدد محدود من الناس ؟
جاءته الإجابة سريعة .. قاطعة ..
إنه كان سيرسل أزواجًا منهم ..
أو زوجًا واحدًا على الأقل .. إلى الفضاء البعيد ..
فى محاولة لضمان خلود الجنس البشرى ..
لكن من الواضح أن قادة الأرض ..
لم ينظروا إلى الأمر هكذا !
فجأة .. نبضت الشاشة الصغيرة بالحياة .. وقرأ عليها :
ـ الكوكب .. الاتصال بعد ١٠٠ ساعة !

★ ★ ★

جلس أمام لوحة أجهزة التشغيل يراقبها ..
وبعد مدة طويلة تغيرت الأرقام ..
ـ .. الاتصال .. بعد ٩٩ ساعة !
كان أمامه وقت طويل ..
فأكل ثم عاد للعمل ..
وبينما كان يخزن الصناديق فى الخزانات الباقية ..
وجد آلة مربوطة .. وملفوفة بعناية ..
وعرف على الفور أنها جهاز عرض ..
وشاهد على جانبها رقم ٢ بحجم كبير ..
وظن وقلبه يدق بعنف ..

أن هذا جهاز احتياطى !
فكيف لم يفكر فى ذلك من قبل ؟
نظر فى شاشة الرؤية ..
وضغط على زر التشغيل !

ـ ٤ ـ

استغرق الفيلم ساعة ..
بدأ باستعراض شاعرى للأرض ..
ولقطات لمدنها وحقولها وغاباتها ..
وأنهارها ومحيطاتها ..
وسكانها وحيواناتها ..
كل ذلك فى صور قصيرة معبرة ..
ولم يكن هناك أى صوت يصاحب الصورة ..
وانتقلت الكاميرا إلى مرصد فلكى ..
وشرحت بالصورة الغرض منه ..
ووضحت اكتشاف عدم استقرار الشمس ..
ووجوه علماء الفيزياء الفلكية الذين قاموا بعمليات الرصد ..
ثم بدأ السباق ضد الزمن ..
والعمليات الصناعية المحمومة لسفينة الفضاء ..
شاهد نفسه يسير إلى السفينة ..
ويبتسم للكاميرا .. ويصافح يدى شخص ما ..
ثم يختفى داخلها !

وهنا توقف الفيلم ..

ثم بدأت بكرة أخرى فى الدوران ..

وسمع صوتًا قويًا يقول :

ـ أهلا .. يا (شوكت) ..

ثم وضحت الصورة .. رجلاً ضخمًا هادئًا ..

يرتدى رداء أبيض ..

نظر هذا الرجل إلى (شوكت) مباشرة وأردف قائلاً :

ـ ... لم أستطع مقاومة هذه الفرصة للتحدث إليك .. إنك الآن فى أعماق الفضاء ..

ولابد أنك شاهدت الشمس وهى تتحول إلى (نوفا) .. وأستطيع أن أقول إنك الوحيد الآن فى الكون !

تريث الرجل للحظة ثم استطرد بقوله :

ـ ... لكن لا تشعر بالوحدة يا (شوكت) ! وكمندوب لشعوب الأرض فإننى أغتنم هذه الفرصة النهائية .. لكى أتمنى لك حظًا سعيدًا فى مهمتك العظيمة .. ولست محتاجًا لإبلاغك بأننا جميعًا معك .. لذلك لا تشعر بالوحدة أبدًا ! إنك شاهدت بالطبع الفيلم فى جهاز العرض .. وفهمت جيدًا المهمة المنوطة بك .. خاصة أننا لا نستطيع أن نطلع الكائنات الغريبة فى الكون على سرنا ! وسوف يعرفون كل شىء قريبًا جدًا ! وأنت حر فى شرح الأمور التى تراها فى بقية هذا الفيلم لهم .. وبالطبع لا تخبرهم بالاكتشاف العظيم أو الطرق الفنية التى تولدت منه !

صمت الرجل لعدة ثوان ثم أضاف قائلاً :

ـ ... والآن حظًا سعيدًا يا د. (شوكت) .. وأرجو لك أن تحقق كل ما تتمناه من نجاح !

ثم تلاشى وجه المتحدث ..

وأصدر جهاز العرض طنينًا عاليًا ..

ثم انفجرت البكرة الأخيرة .. وتحطمت !

★ ★ ★

أعاد (شوكت) جهاز العرض بعناية إلى صندوقه ..

وأدخله فى الخزانة ثم رجع إلى لوحة أجهزة التشغيل والتحكم ..

وقرأ على الشاشة :

ـ الاتصال بالكوكب .. بعد ٩٦ ساعة ..

جلس (شوكت) وحاول وضع الحقائق الجديدة فى الإطار العام الذى كونه ..

عمومًا كان يتذكر إلى حد ما .. الحضارة العظيمة لكوكب الأرض ..

لقد كانوا على وشك الاستعداد للذهاب إلى النجوم ..

عندما اكتشفوا حالة عدم استقرار الشمس ..

وتحولها إلى (نوفا) !

ويبدو أنه كان عليه الاتصال بحياة عاقلة ذكية ..

ويخبرهم عما حدث لكوكب الأرض !

ولكن .. لماذا ؟
قرأ على الشاشة !
ـ الاتصال بالكوكب .. بعد ٩٥ ساعة !
حزم د. (شوكت) نفسه فى مقعد القيادة ..
وصرخ من فرط يأسه !

★ ★ ★

تفحصت أجهزة الاستشعار عن بعد .. الخاصة بسفينة الفضاء .. ما حولها ..
وسجلته .. وسرعان ما نبضت الحياة على الشاشة الصغيرة :
ـ الغلاف الجوى : كلور وميثان .. الحياة غير موجودة !
وغذيت هذه المعلومات فى الكمبيوتر المركزى لسفينة الفضاء ..
وأغلقت بعض الدوائر الإلكترونية .. بينما فتحت أخرى !
وتحدد مسار جديد للسفينة .. التى واصلت اختراقها لأعماق الكون !
ومرت الأيام .. وتم إبلاغ د . (شوكت) بكوكب آخر .. ودراسته .. ورفضه ..
وخلال ذلك .. اكتشف شيئًا واحدًا غير ذى قيمة ..
إن له ذاكرة قوية !
فقد استطاع تذكر جميع تفاصيل المشاهد فى الفيلم .. التى استغرق عرضها ساعة !

وأدرك أنه ربما يكون هذا هو السبب فى اختياره لهذه المهمة ..
واعتقد أن هذه هى سخرية القدر ..
الحفظ التام لكل شىء .. لكن بدون ذاكرة !
ورفض كوكب ثالث ..
لعله أرسل إلى الكواكب الأخرى .. خارج المجموعة الشمسية ..
كسفير للأرض !
فى آخر لفتة للبشر .. لتتعلم الكائنات الغريبة فوق كوكب مقفر ..
أسس السلام .. والتعاون !
وتساءل د. (شوكت) عن (الاكتشاف العظيم) الذى ذكره الرجل فى الفيلم ..
فإذا لم يكن هو القيادة بسرعة تقرب من سرعة الضوء ..
فما عساه أن يكون ؟
من المحتمل جدًا أن يكون اكتشافًا .. فلسفيًا !
الطريقة التى يمكن أن يحيا بها أى كائن .. فى سلام ..
أو شيئًا من هذا القبيل !
لمعت الشاشة الصغيرة .. وأظهرت وجود أكسوجين فى الغلاف الجوى .. للكوكب الخامس .. ودرجة حرارة مناسبة ..
وفجأة .. بدأت المولدات فى أعماق سفينة الفضاء .. تنبض بالحياة ..

وقرأ على الشاشة .. عبارة مكتوبة بحروف كبيرة :

ـ استعد الهبوط !

★ ★ ★

كاد قلب (شوكت) يثب من مكانه .. من فرط دقاته ..
وشعر للحظة بأنه غير قادر على التنفس ..
وملأ الرعب نفسه .. عندما أنشبت الجاذبية قبضتها فى سفينة الفضاء !
وكان على الشاشة منظر أزرق وأخضر لكوكب فى غلافه الجوى .. أكسوجين ..
ثم تذكر (شوكت) عبارة سمعها فى مكان ما .. فى وقت ما :

ـ إن هبوط رائد فضاء فوق كوكب مجهول ... مثل لحظات ميلاد طفل جديد !

وقال لنفسه إن هذه العبارة يمكن أن تصدر عن طبيب نفسى !
إذن هذا هو السر الغامض !
د. (شوكت) طبيب نفسى !
عرف الآن أى دكتور هو ..
وبحث فى ذهنه عن المزيد من المعلومات بدون جدوى ..
وظل سؤال واحد يحيره :
ـ لماذا يرسل كوكب الأرض .. طبيبًا نفسيًا إلى الفضاء ؟!
زاد الرعب فى قلبه ..
صرخ وقطع أحزمته الجلدية ..
عندما بدأت السفينة تشق أعماق الفضاء .. بلا توقف ..
لتهبط فوق الكوكب المجهول .
ثم فقد وعيه تمامًا !

ـ ٥ ـ

استعاد د. (شوكت) وعيه بعد عدة دقائق ..
بينما كانت سفينة الفضاء تهبط تلقائيًا ..
شغل شاشات الاستشعار عن بُعد .. للرؤية الخارجية ..
ورأى مركبات غريبة مثلثة .. تقبل تجاه سفينته الفضائية ..
وهى ممتلئة بالكائنات التى تشبه البشر !
كان عليه أن يتخذ قراره الآن ..

ماذا يفعل ؟ وكيف يتصرف ؟
خاصة أنه لا يمكن إجراء أى اتصال .. قبل أن يتعلم لغتهم !
وبعد ذلك يمكنه القول .. إنه مرسل من كوكب الأرض لكى ..
لكى .. ماذا ؟
يمكنه أن يقرر عندما يحين الوقت .. وحدق فى الشاشات .. وراجع المعلومات ..
ووجد أن الجو الخارجى يصلح للتنفس ..
انفتح جانب سفينة الفضاء .. وخرج د. (شوكت) منها !

★ ★ ★

تم الاتصال مع كائنات الكوكب ..
وباستخدام ذاكرته القوية .. لم يجد د. (شوكت) صعوبة فى تعلم لغتهم ..
خاصة وأن تلك الكائنات لم تكن تختلف كثيرًا عن بعض أفراد جنسه ..
وكان عليه بمجرد أن يتقن اللغة بدرجة كافية ..
أن يقابل المجلس الحاكم ..
كان يخشى من هذه المقابلة .. ولذلك أخّرها بقدر الإمكان ..
ومع ذلك فقد جاء الوقت .. وجاء من يصطحبه خلال قاعات مبنى المجلس ..
إلى باب الغرفة الرئيسية للمجلس الحاكم ..
دخل ومعه جهاز العرض تحت ذراعه ..

قال له زعيم المجلس الذى كان يجلس على منصة عالية :
ـ مرحبًا بك هنا !
ردّ د. (شوكت) التحية وعرض عليهم أفلامه ..
وساد صمت تام .. حتى شاهدها كل أعضاء المجلس .. ثم سأله الرئيس :
ـ إذن أنت آخر أفراد جنسك الآدمى !
أومأ د. (شوكت) برأسه موافقًا ..
وهو ينظر إلى الوجه العجوز الحنون .. المتغضن ..
سأله عضو آخر بالمجلس :
ـ لماذا أرسلك قومك أنت فقط ؟ لماذا لم يرسلوا رجلاً وامرأة ؟
إنه السؤال الذى كان يسأله د. (شوكت) دائمًا لنفسه !
قال لهم :
ـ إن ذلك مستحيل ! أقصد مستحيل أن أشرح لكم الموقف النفسى لجنسى فى بضع كلمات ! إن قرارنا موجود فى إحساسنا بكياننا .. ووجودنا !
قال د. (شوكت) لنفسه :
ـ إن هذه كذبة عديمة المعنى ! لكن ماذا عساى أن أفعل بخلاف ذلك ؟
ردّ عليه عضو آخر بالمجلس !
ـ سوف تضطر لشرح الموقف النفسى لجنسك البشرى .. فى وقت ما !

أومأ د. (شوكت) برأسه .. وهو ينظر فى وجوه أعضاء المجلس ..

وأمكنه تقدير التأثير الذى أحدثه الفيلم المعدّ ببراعة عليهم ..

كانوا فى طريقهم لإظهار شعورهم الودّى .. المتعاطف ..

تجاه آخر أفراد الجنس البشرى !

قال رئيس المجلس :

ـ إننا مهتمون جدًا بطريقة قيادتك القريبة من سرعة الضوء ! هل يمكنك مساعدتنا فى هذا الشأن ؟

قال د. (شوكت) مترددًا :

ـ أخشى أننى لا أستطيع ذلك !

من كل ما تعلمه عرف أن التقدم العلمى والتكنولوجى لديهم .. مازال فى المرحلة قبل الذرية ..

أى متأخر عدة قرون عن كوكب الأرض !

ثم أردف قائلاً :

ـ ... إننى لست عالمًا .. وليس لدىّ معرفة بالقيادة القريبة من سرعة الضوء !

قال رئيس المجلس بسرعة :

ـ نستطيع فحص ذلك بأنفسنا !

ثم سأله بودّ :

ـ .. أنت تقول إنك لست عالمًا ! فهل تسمح لى بأن أسألك عن مهنتك ؟

أجاب د. (شوكت) قائلاً :

أنا طبيب نفسى وعقلى !

تحدثوا لساعات .. وتحرك د. (شوكت) فى كل مكان .. وبدأ ينصت ويركز فى كل شىء ..

ويحاول أن يحصل على أى معلومات عن هذا الكوكب ..

قال رئيس المجلس العجوز منهيًا الاجتماع :

ـ لقد ساعدتنا كثيرًا جدًا حتى الآن ! مثلاً بعد أن عرفنا إمكانية التحكم فى الطاقة الذرية .. يمكننا توجيه أبحاثنا إلى هذا الهدف ! لكن ما الذى تود أنت أن تفعله ؟

تريث د. (شوكت) برهة مفكرًا فيما سيقوله .. ثم أجاب :

ـ إننى طبيب نفسى يا سيدى ! وربما يمكننى تقديم المساعدة بصفتى هذه !

قال رئيس المجلس فى حيرة :

ـ لكنك لا تعرف قومنا .. وستحتاج لعمرك بأكمله لكى تدرس طبيعة توتراتنا ومشاكلنا وعقدنا النفسية .. حتى يمكنك التصرف إزاءها !

ردّ د. (شوكت) قائلاً :

ـ هذا حقيقى ! لكن جنسينا متشابهان .. وحضارتينا انتهجتا مسارين متماثلين .. ونظرًا لأننى أمثل حضارة أكثر تقدمًا تكنولوجيًا .. فإن أساليب علاجى قد تساعد أطباءكم !

ابتسم رئيس المجلس وقال :

ـ بالطبع يا د. (شوكت) .. يجب ألا أقع فى خطأ عدم تقدير جنس راق عبر النجوم .. حق قدره !

إننى سوف أقدمك بنفسى .. إلى رئيس أحد مستشفياتنا النفسية !

ثم وقف الرئيس قائلاً :

ـ .. هلا تبعتنى !

تبعه د. (شوكت) وقلبه يدق بعنف ..

لاشك أن مهمته تتعلق بالطب النفسى والعقلى !

ولكن ظل لا يعرف ما المفترض أن يفعله ..

والأسوأ من ذلك .. أنه لم يستطع أن يتذكر عمليًا ..

أيًا من المعلومات عن الطب النفسى !

ـ ٦ ـ

قال الطبيب النفسى وهو ينظر إلى د. (شوكت) بإمعان :

ـ هل تقترح أى تحسينات أو تطويرات على الأجهزة التى شاهدتها !

ردّ د. (شوكت) وهو يتبع الطبيب النفسى على طول ممر طويل ذى لون أزرق شاحب :

ـ سوف أضطر لإلقاء نظرة فاحصة على التركيب !

قال الطبيب النفسى بلهفة :

ـ لايخفى عليك مدى تشوقى لهذه الفرصة .. ولا شك أنكم يا سكان كوكب الأرض .. قد اكتشفتم كثيرًا من أسرار العقل !

ثم أردف الطبيب النفسى :

ـ ... من هذا الطريق تصل إلى أجنحة الأمراض العقلية بالمستشفى !

تبع د. (شوكت) الطبيب النفسى وهو يعض شفته فى غضب ..

كانت ذاكرته ما تزال غائبة ..

ولم يكن يعرف من معلومات الطب النفسى ..

أكثر من الرجل العادى غير المتخصص ..

وما لم يحدث شىء ما على الفور .. فلابد أن يعترف بأنه مصاب بفقدان الذاكرة !

قال الطبيب النفسى :

ـ فى هذه الحجرة لدينا عدة حالات غريبة !

تبعه د. (شوكت) إلى الداخل .. ونظر إلى الأوجه الكئيبة الجامدة .. لثلاثة من المرضى !

قال الطبيب النفسى .. وهو يشير إلى الرجل الأول :

ـ إن لديه حالة إغماء تخشبى ! أظن أن لديك علاجًا له .. أليس كذلك ؟

لم يجبه د. (شوكت) .. ولكن برقت فى ذهنه ومضة من الذكريات ..

كانت مجرد بضعة عبارات تبادلها فى وقت ما .. مع شخص ما ..

وهنا حدث أزيز ضعيف .. فى عقل د. (شوكت) .. ثم انهار المريض !

انتظر د. (شوكت) .. لكن لم يحدث أى شىء ..

اتجه إلى المريض الثانى وكرر العملية السابقة ... فانهار أيضًا !

ثم المريض الثالث !

★ ★ ★

رجع الطبيب النفسى ومعه مساعدان .. وقال بدهشة :

ـ ما الذى فعلته ؟

فأجابه د. (شوكت) مخادعًا :

ـ إننا نستخدم الأشخاص المختلين عقليًا ! وهكذا لا نحرم الأشخاص العاديين من شىء ما !

لم يكن يعرف مع من كان يتحدث .. ربما مع طبيب آخر .. كانا يتحدثان عن علاج جديد للمصابين بأمراض عقلية !

سأله الطبيب النفسى مرة أخرى :

ـ هل وجدتم علاجًا لهذا ؟

فقال د. (شوكت) وهو يضغط على أعصابه :

ـ أجل .. أجل .. وجدنا العلاج !

رجع الطبيب النفسى خطوة إلى الخلف .. وحدق فيه قائلاً :

ـ لكن هذا غير ممكن ! لا يمكنكم إصلاح مخ يوجد به تلف عضوى ! تدهور أو توقف النمو ...

نظر د. (شوكت) إلى الرجل الذى فى السرير الأول وقال للطبيب النفسى :

ـ أحضر لى بعض المساعدين !

تردد الطبيب برهة .. ثم هرع إلى خارج الحجرة !

★ ★ ★

انحنى د. (شوكت) على الرجل المتخشب .. يفحصه .. ثم نظر فى وجهه ..

وبإحساس داخلى غامض .. غريب .. مد يده ولمس بإصبعه جبهة الرجل !

ـ لا أدرى ما إذا كانت طرقنا .. وأساليبنا سوف تنجح على قومكم ... أرجوك دعنى بمفردى ..

بمفردى تمامًا لفترة قصيرة .. إن التركيز ضرورى كما تعلم !

احتار الطبيب النفسى فى أمره .. ولم ينبس بكلمة .. ثم غادر المكان مسرعًا .. وأخذ معه مساعديه ..

فحص د. (شوكت) نبض المريض الأول .. وجسده يتصبب عرقًا ..

كان ما زال قلبه ينبض .. فاعتدل واقفًا ثم بدأ يذرع الحجرة .. ببطء ..

شعر بأن فى داخله قدرة ما ..

اراد أن يتذكر عدد الوصلات العصبية الموجودة فى جسم الإنسان ..

إنها تقدر بآلاف الملايين .. أى بالبلايين !

إن هذا الأمر مهم ! كان متأكدًا من ذلك !

تأوه المريض الأول ثم اعتدل فى جلسته .. وسار د. (شوكت) إليه ..

تحسس الرجل رأسه .. وتأوه مرة أخرى ..

وظن د. (شوكت) أن هذا هو علاجه الخاص بالصدمات ..

سأل المريض :

ـ بماذا تشعر الآن ؟

أجابه الرجل بلغة سكان كوكب الأرض :

ـ ليس سيئًا جدًا !

شهق د. (شوكت) قائلاً :

ـ ماذا قلت ؟

وعجب مما إذا كانت هناك عملية تخاطر أى انتقال للأفكار بطريقة ما !

وهل أعطى للرجل معرفته الكاملة بلغة سكان كوكب الأرض ؟

وثب الرجل من سريره ونظر حوله ثم قال :

ـ إننى بخير يا دكتور .. هل ذهب سكان هذا الكوكب ؟

رد د. (شوكت) فى ذهول :

ـ أجل !

ابتسم المريض وقال :

ـ إننى (هادى سالم) من كوكب الأرض ! ماذا دهاك يا د. (شوكت) ؟

كان الرجلان الآخران يتعافيان الآن :

ـ وهذان !

رد (هادى سالم) بسرعة :

ـ د. (كامل حسنى) و (سمير وجدى) ..

نظر الرجل الذى سمى نفسه (هادى) إلى جسمه باهتمام وقال :

ـ لعلك وجدت جسمًا أفضل لى يا د. (شوكت) .. من أجل أيامنا الطيبة السابقة معًا !

لكن كل هذا لا يهم الآن !

شرح له د. (شوكت) فقدانه لذاكرته .. فأجابه (هادى) :

ـ سوف نعيد لك ذاكرتك فلا تقلق ! يا لـه من شعور جميل أن يكون لك جسد مرة أخرى !

فتح الباب ودخل الطبيب النفسى .. ولم يتمالك نفسه فصرخ قائلا :

ـ لقد فعلت هذا ! إنك قادر على شفاء المرضى ... عقليًا !

ردّ عليه د. (شوكت) بسرعة :

ـ أرجوك ! لا أريد أى ضوضاء فجائية ! واطلب منك ألا يزعجنى أحد لمدة عدة ساعات أخرى على الأقل !

أجابه الطبيب النفسى باحترام شديد :

ـ بالطبع !

ثم استدار خارجًا .. وأغلق الباب وراءه !

★ ★ ★

نظر د. (شوكت) إلى الرجال الثلاثة وسألهم :

ـ كيف أمكن هذا ؟ ما هو السر ؟

أجابه (هادى) :

ـ إنه الاكتشاف العظيم ! لا ريب أنك تتذكر هذا !

ردّ د. (شوكت) فى حيرة :

ـ كما قلت لك .. إننى أعانى فقد الذاكرة !

سار د. (كامل) بضع خطوات ببطء ..

ولاحظ د. (شوكت) أن الوجوه الثلاثة الفارغة .. بدأت تتوتر وتتشكل بتأثير العقول التى فى رءوسها ..

قال د. (كامل) :

ـ ألا تتذكر يا د. (شوكت) البحث فى المخ البشرى ؟

هز د. (شوكت) رأسه بالنفى ..

استطرد د. (كامل) قائلا :

ـ تعلم أن مخ الإنسان منقسم على طوله إلى نصف أيمن ونصف أيسر .. يطلق على كل منهما .. (نصف الكرة المخية) .. وتتألف الطبقة الخارجية للمخ من أجسام خلوية رمادية اللون يطلق عليها (القشرة المخية) وتحتها توجد المحاور العصبية الآتية من أجسام الخلايا العصبية والذاهبة إلى سائر أجزاء الدماغ الأخرى .. وإلى النخاع الشوكى وبقية أجزاء الجسم البشرى !

وهكذا تسيطر القشرة المخية على كل أعضاء الجسم !

تريث د. (كامل) قليلاً ثم استطرد بقوله :

ـ .. ويوجد فى القشرة المخية حوالى عشرة بلايين من الخلايا العصبية .. وكل خلية منها قادرة على ممارسة جميع التغيرات الكيميائية والكهربية التى تقترن بنقل الإشارات العصبية التى تتحكم فى حركة الجسم ونشاطه !

صمت د. (كامل) .. ثم أكمل قائلا :

ـ ... وبتطوير جهاز (الرسم الكهربى للمخ) الذى يقيس

الجهود الكهربية للمخ .. أمكن تحويل القشرة المخية إلى طاقة كهربية يمكن نقلها من جسد إلى آخر ! هذا هو الاكتشاف العظيم !

قال د. (شوكت) فى دهشة :

ـ يا إلهى ! إلى هذا الحد تقدم العلم !

قال (هادى) :

ـ هذه الطاقة الكهربية الناتجة عن القشرة المخية .. لها فترة حياة معينة .. وهى أطول نوعا ما من عمر الجسد بالطبع ! لكن داخل حدود معينة لا تتعداها !

وبعد لحظات أردف قائلا :

ـ ... ومع ذلك يمكن تخزينها فى حالة كمون .. إلى أجل غير محدد ! وهل يوجد مكان لتخزين هذه الطاقات الكهربية أفضل من عقلك ؟ إن خلاياك العصبية التى تقدر بالبلايين .. كانت ملاذنا كلنا طوال الوقت يا د. (شوكت) ! ويكفى أن تلمس رأس أى كائن .. لتنتقل هذه الطاقة الكهربية أى القشرة المخية إليه !

تهالك د.(شوكت) فوق أحد المقاعد .. وهمس فى ذهول :

ـ لقد بدأت أفهم !

وعرف لماذا اختاروه هو بالذات ..

فهذه مهمة يلزمها طبيب نفسى .. وعقلى ..

خاصة وأنه اشترك فى تجارب تحويل القشرة المخية .. إلى طاقة كهربية ..

وحتى يمكن للكائنات العاقلة .. فوق كواكب أخرى .. قبوله ..

ولاشك أنه تدرب بشكل خاص ..

وبالطبع لم يعرف أهل هذا الكوكب أى شىء .. عن مهمته !

فهم لن يتقبلوا بالترحاب .. امتلاك سكان الأرض .. لقومهم .. حتى المصابين منهم .. بالأمراض العقلية !

كان الرجال الثلاثة يختبرون أجسادهم الجديدة ..

بثنى الأذرع .. والتدرب على السير .. وإبراز العضلات ..

تساءل د. (شوكت) :

ـ وماذا بشأن النساء ؟

أخبره (سمير) :

ـ أحضر المزيد من المصابين بالأمراض العقلية .. لتحتل أجسادهم ! إذ إننا لن نقترب من الأشخاص الطبيعيين ! إذ إن عقولهم قد تقاوم هذا الاحتلال !

ثم أردف بعد لحظة :

ـ .. سوف تصبح أعظم طبيب فوق هذا الكوكب ! إذ سوف يحضر إليك أى مريض عقليًا لكى تعالجه .. وبالطبع نحن جميعًا نعرف هذا السر ! وبمجرد احتلال أى جسد جديد .. سوف يوضح الشخص للآخرين كل شىء يتعلق به !

قال د. (كامل) مبتسمًا :

ـ د.(شوكت) ! هل تعرف ما معنى هذا ؟ إن كوكب الأرض لم يمت ! وسوف نعيش مرة أخرى .. ولكن فى أجساد الكائنات الأخرى !

أومأ د. (شوكت) برأسه ..

وكان يعرف أنهم جميعًا يحتاجون إلى بعض الوقت ..

وقدر كبير من إعادة السيطرة على النفس ..

قال (هادى) :

ـ الأفضل أن نبدأ العمل ! وبعد أن تنتهى من علاج المرضى عقليًا على هذا الكوكب .. سوف نزود سفينتك بالوقود ..... ونرسلك إلى الفضاء الخارجى !

تساءل د. (شوكت) فى دهشة :

ـ أين ؟ إلى كوكب آخر ؟

ابتسم (هادى) وقال :

ـ بالطبع لعل هناك عدة ملايين فقط من المرضى عقليًا .. فوق هذا الكوكب !

عاد د. (شوكت) يتساءل فى إلحاح :

ـ لكن كم عدد الأشخاص الذين أختزنهم داخلى .. فى شكل طاقات كهربية كامنة ؟

ضحك الرجال الثلاثة فجأة ..

وقال د. (كامل) :

ـ كم العدد ؟ إن عدد الناس فوق كوكب الأرض .. كان حوالى خمسة بلايين !

إنك تختزنهم كلهم داخل جسمك !

★ ★ ★

سلسلة **نوفا** للخيال العلمى

العودة .. من الجحيم !

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٨٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

- ١ -

قال د. (فؤاد لطفى) بعد أن أتم تعديلاته الدقيقة .. الأخيرة .. على آلته الضخمة ذات القبة الزجاجية .. آلة الزمن :

- كم أتمنى أن أحل اللغز الكامن فى جميع الرحلات إلى الماضى .. أو المستقبل !

ربط (فايز سعد) .. الذى سوف يصبح فى بضع دقائق أول مسافر حقيقى ..

فى نفق الزمن ..

بعيدًا عن صفحات الخيال العلمى ..

أحزمة حلته مكيفة الضغط .. المصممة خصيصًا له ..

ثم قال بتؤدة :

- هل تعنى أن هناك حلاً ما ؟

تريث للحظة وأضاف قائلا :

- .. أنت بالطبع لا تظن أننى سأصل إلى عام ٢٠٤٠ .. ثم بعد ذلك أتمكن من الرجوع عن طريق كافة أنواع البيانات العلمية العظيمة !

هز د. (فؤاد) رأسه بحزن وقال :

- بالطبع لا ! وأنا لم أخبرك بهذا الأمر من قبل .. حتى لا أسبب لك قلقًا ..

لكن الحقيقة أنك عندما تخرج من آلة الزمن التى صنعتها فلن تكون فى عام ٢٠٤٠ !

تساءل (فايز) فى دهشة بالغة :

- لكن .. لكن هذا ما صممت آلة الزمن من أجله .. أليس كذلك ؟

أشار د. (فؤاد) إلى العدادات وقال :

- بالتأكيد صممت هذه الآلة .. لاقتحام المستقبل بعد أربعين سنة من الآن !

لكن هناك حقيقة واحدة بسيطة .. لم يتوصل إليها كل علماء الفيزياء الكونية فى جميع أبحاثهم حول السفر فى الزمن .. حتى الوقت الحاضر !

بدا (فايز) غير سعيد لسماع ذلك .. وقال :

- وما هى هذه الحقيقة ؟ هل تعتقد أننى سوف أخرج وسط الحرب العالمية الثالثة .. الجرثومية .. النيوترونية .. أو ما شابه ذلك ؟

أجاب د. (فؤاد) بسرعة :

- ليس هذا .. إنه شىء يشبه ... حسنًا ! لماذا يفترض هؤلاء العلماء دائمًا .. أن السفر إلى الماضى أو المستقبل .. ممكن على أى حال ؟ نحن نعرف الآن أنه بإمكاننا .. فى آلة الزمن .. زيادة أو إنقاص عمر أحد الحيوانات بنفس الطريقة التى يتغير بها عمر المسافر فى الفضاء .. عندما تقترب سرعته من سرعة الضوء !

حدّق فيه (فايز) وقال :

ـ بالطبع يا دكتور (فؤاد) ! لقد فعلنا ذلك بالنسبة للصخور والنباتات .. وحتى الفئران !

★ ★ ★

ابتسم د. (فؤاد) وقال :

ـ بتعبير آخر .. يتأثر كل شىء يحدث داخل آلة الزمن .. لكن الذى لم يكتشفه أى شخص حتى الآن .. هو أن المادة فقط الموجودة داخل الآلة .. هى التى يمكن أن يزيد أو يقل عمرها .. فعندما تخطو خارج آلة الزمن .. فإنك سوف تكبر فى السن .. بينما يظل العالم حولك كما هو !

تساءل (فايز) بارتياب :

ـ هل تعنى أن الطريقة الوحيدة التى نتقدم بها إلى عام ٢٠٤٠ .. هى بناء آلة زمن كبيرة جدًا .. تسع كوكب الأرض بأكمله ؟

أجاب د. (فؤاد) ببطء :

ـ تمامًا ! وطبعًا هذا مستحيل ! وهكذا فإن السفر خلال الزمن .. كما يتصوره كتاب الخيال العلمى .. لن يحدث قط !

صمت (فايز) للحظة قبل أن يتساءل فى لهفة :

ـ إذن سوف تحبسنى داخل هذه الآلة العجيبة .. لكى تزيد من عمرى ؟ ولا شىء أكثر من ذلك !

ابتسم د. (فؤاد) وقال :

ـ لا يا (فايز) ! سوف تذهب فعلاً إلى المستقبل ! ولكنك ستكبر فى السن عندما تعود .. بينما يبقى العالم كما هو !

تريث د. (فؤاد) قليلاً ثم استطرد قائلاً :

ـ .... أنت الآن فى الثامنة والعشرين من عمرك .. وفى لحظات فقط .. سوف تبلغ الثامنة والستين .. بعد أن تشيخ بما يعادل أربعين عامًا !

تساءل (فايز) فى قلق :

ـ وهل سوف يمكنك إرجاعى كما كنت تمامًا ؟ أى تعيدنى إلى سن الثامنة والعشرين عامًا !

قهقه د. (فؤاد) وأجاب :

ـ بالطبع يا (فايز) ! سوف أعيدك مرة أخرى إلى الماضى ! لكن يجب أن تتذكر كل ما يحدث لك .. كل شىء .. فهناك دائمًا احتمال ألاّ تتمكن الكاميرات الإلكترونية المثبتة فى آلة الزمن .. من تصوير بعض الأحداث !

تنهد (فايز) وقال :

ـ لقد تطوعت للقيام بهذه التجربة .. ولن أتراجع مهما كانت المخاطر ! من أجل تقدم العلم والتكنولوجيا ! دعنا نتم ما بدأناه !

قال (فؤاد) بهدوء :

ـ أدخل فى آلة الزمن ! وأتمنى لك حظًا سعيدًا !

جلس (فايز) فى المقعد الجلدى الوثير .. داخل آلة الزمن ..
ثم ابتسم قائلاً :
ـ شكرًا د. (فؤاد) ! إلى اللقاء !
قرقع الباب المعدنى الثقيل ..
وهو ينغلق وراءه ..
وعلى الفور بدأت المحركات الجبارة فى الدوران ..
بصوت يصم الآذان !

ـ ٢ ـ

تحرك د. (فؤاد) ناحية عداد التحكم..
وتحقق من القراءة الإلكترونية ..
وقال لنفسه :
ـ أجل ! أربعون سنة فى المستقبل !
ليس مستقبل العالم ..
ولكن مستقبل (فايز سعد) !
اهتزت آلة الزمن الضخمة بعنف ...
كما لو كانت تتعجب من زيادة حمل ماكنها البشرى ..
وبعد حوالى عشر دقائق ..
بدأ مؤشر عداد التحكم فى الاستقرار أمام ..
علامة عام ٢٠٤٠ ..
وعندئذ ضغط د. (فؤاد) على المفتاح العكسى ..

وبينما كان ينتظر رجوع المسافر فى نفق الزمن ..
ضبط الكاميرات والعدادات وأجهزة الاستشعار عن بعد ..
وعشرات المعدات المساعدة ..
التى كان استخدامها ضروريًا للتجربة ..
ابتسم د. (فؤاد) وقال لنفسه فى سعادة بالغة :
ـ أجل ! كل الأجهزة والمعدات تعمل .. لقد نجحت فى تجربة السفر فى نفق الزمن .. مع الإنسان ! يا له من انتصار للعلم !
ومضى ضوء أخضر فوق لوحة الأجهزة ..
ثم خطا د. (فؤاد) إلى الباب المعدنى الثقيل ..
لقد حانت لحظة الانتظار العظيم الخارق !

★ ★ ★

انفتح الباب ببطء ..
ثم خرج الشبح الغامض .. لـ (فايز سعد) ..
من الدخان الكثيف الذى يحيط به ..
صاح د. (فؤاد) بلهفة :
ـ (فايز) ! (فايز) ! هل أنت بخير ؟
أجابه صوت صادر من بين الدخان .. صوت غريب النبرات :
ـ كلا يا دكتور! لقد اخترت الرجل الخطأ لتجربتك .. الرجل الخطأ !
تساءل د. (فؤاد) فى ذهول :

ـ ما الذى حدث لك يا (فايز) ؟ دعنى أر وجهك !

جاء الصوت الغريب حادًا ..

ـ د. (فؤاد) ! لقد مت فى سن الستين ! وهناك مكان واحد لا تستطيع آلتك أن ترجعنى منه ! مكان واحد ينعدم فيه الزمن !

ثم انقشع الدخان قليلاً ..

وحدّق د. (فؤاد) بإمعان فى الوجه الذى أمامه !

ثم أطلق صرخة هائلة ..

تمتلئ بالرعب المروّع ..

وسقط مغشيًا عليه !

★ ★ ★

سلسلة **نوڤا** للخيال العلمىَ

كوكب القبور الصامتة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥١ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢

كانت تسمى (أنفاق الرعب) ..
وهى عبارة عن فتحات صغيرة موجودة فى سطح الكوكب ..
ويعتقد أنها تفضى إلى عمق عشرين كيلومترًا ..
بين دهاليز ضخمة .. تحف بجانبها المقابر !
وبعض هذه الأنفاق اكتشفت ..
إلا أن الآلاف منها .. ظلت مخفيّة ..
والقرون الطويلة التى مضت منذ إنشائها ..
جعلتها بهذا الشكل ..
والصبى الذى سقط فى النفق بالقطاع (١٢) .. كان اسمه (سمير فتحى) .. وهو السائح الخامس والسبعون الذى عانى من هذا المصير ..
وكانت هذه أيضًا مهمة الإنقاذ العشرين للمرشد (رأفت واصف) .. على كوكب القبور الصامتة !

- ١ -

أحب (رأفت) هذا الكوكب ..
خاصة الصوت الدائم لرياحه التى تهب .. ويتردد صداها خلال وديانه ..
بالرغم من أن الكوكب يعد .. مقبرة عظمى !
عاش (رأفت) هنا عشر سنوات من عمره الذى يبلغ الثلاثين ..
يستكشف أعماق مناسيب المقابر ..
ويسجل الثروات الخرافية للبقايا الغريبة ..

الموجودة فى كل دهليز !
ولم يكن الإنسان قد استكشف سوى جزء بسيط من سطح الكوكب ..
وإلى أعماق لا تتعدى كيلومترين فقط ..
وترك ذلك المجال مفتوحًا للمزيد من عمليات الاستكشاف ..
وكان سطح كوكب القبور الصامتة .. اصطناعيًا تمامًا ..
إذ غطى بسراديب دفن .. ومزارات لألف جنس فى الكون ..
كان مقبرة هائلة .. عمقها عشرون كيلومترًا !
وعبْر ملايين السنين .. استقرت كائنات غريبة ..
من كافة أنحاء مجرة (الطريق اللبنى) ..
على هذا الكوكب وشيدت تلالا وجبالا جديدة مع تجويفها من الداخل ..
ودفن موتاهم فيها !
ويستغرق استكشاف هذا الكوكب .. عمرًا بأكمله ..
ليس عمر إنسان واحد ..
وإنما عمر البشرية بأسرها !

★ ★ ★

كاد وهج المصابيح التى تضىء مكان سقوط الصبى ..
أن يعمى (رأفت) وهو يخطو خارجًا من مركبة الفضاء الصغيرة ..
حاملاً معه أجهزة الإنقاذ ..
وبسرعة أنزل واقى البصر من خوذته الشفافة .. أمام عينيه ..

ثم ألقى حمولته الضخمة على منكبية العريضين ..
كان (رأفت) رجلاً طويلاً .. رشيقًا .. يرتدى حلة من الجلد القوى ..
محبوكة على جسده .. لوقايته من برودة الدهاليز العميقة ..
ومساعدته على الزحف خلال الفتحات .. والأنفاق الضيقة ..
لكيلومترات كثيرة أسفل سطح الكوكب !
سار (رأفت) إلى الفتحة العميقة ..
حيث كان عدد من الأفراد ما زالوا متجمعين حولها ..
وقليل منهم كان يحدق من فوق حافة الفتحة ..
إلى الفراغ المخيف !
قال له أحدهم :
ـ حدث السقوط منذ أقل من ساعة !
وأحس (رأفت) بأثر الصدمة المتبقى لدى هذه المجموعة من السائحين ..
ووقف هناك مرشدان سياحيان ينتظران بلهفة ..
صدور أى تعليمات لهما ..
قال (رأفت) باقتضاب :
ـ لا أريد أحدًا هنا !
بدأ المرشدان اللذان أسعدهما سماع هذه القرارات السريعة ..
يقودان مجموعة السياح إلى المركبة الفضائية التى كانت بانتظارهم ..

وشاهد (رأفت) الخيمة الصغيرة التى شيدت ليبقى بها والد ووالدة الصبى المفقود !
كان قطر الفتحة الدائرية .. نحو مترين ..
وأدرك كم هى عميقة ..
ووجد بقايا الحجر الأبيض الذى كان يقف عليه الصبى ..
وتعجب (رأفت) من عبقرية الكائنات الغريبة التى أقامت كل هذه الأنفاق ..
الرائعة .. والغامضة فى نفس الوقت ..
والتى تحتوى على أسرار كثيرة !
وفيما بعد دائرة الضوء الساطع ..
كان كوكب القبور الصامتة .. عبارة عن أرض رمادية تنذر بالخطر ..
ورأى (رأفت) جبالاً ضخمة ممتلئة بالكهوف .. والفتحات .. والتجاويف ..
وتلالاً عليها أهرامات ذات قمم مسطحة ..
وسراديب مكعبة .. وأبراجًا ضيقة طويلة ..
وكانت رياح الكوكب تنوح فى مداخلها المفتوحة ..
بصوت مكتوم حزين !

★ ★ ★

دار (رأفت) حول الفتحة محدقًا بإمعان فى باطنها الأسود ..
ثم أعطى تعليماته بإقامة مركز اتصالات ليزرى ..

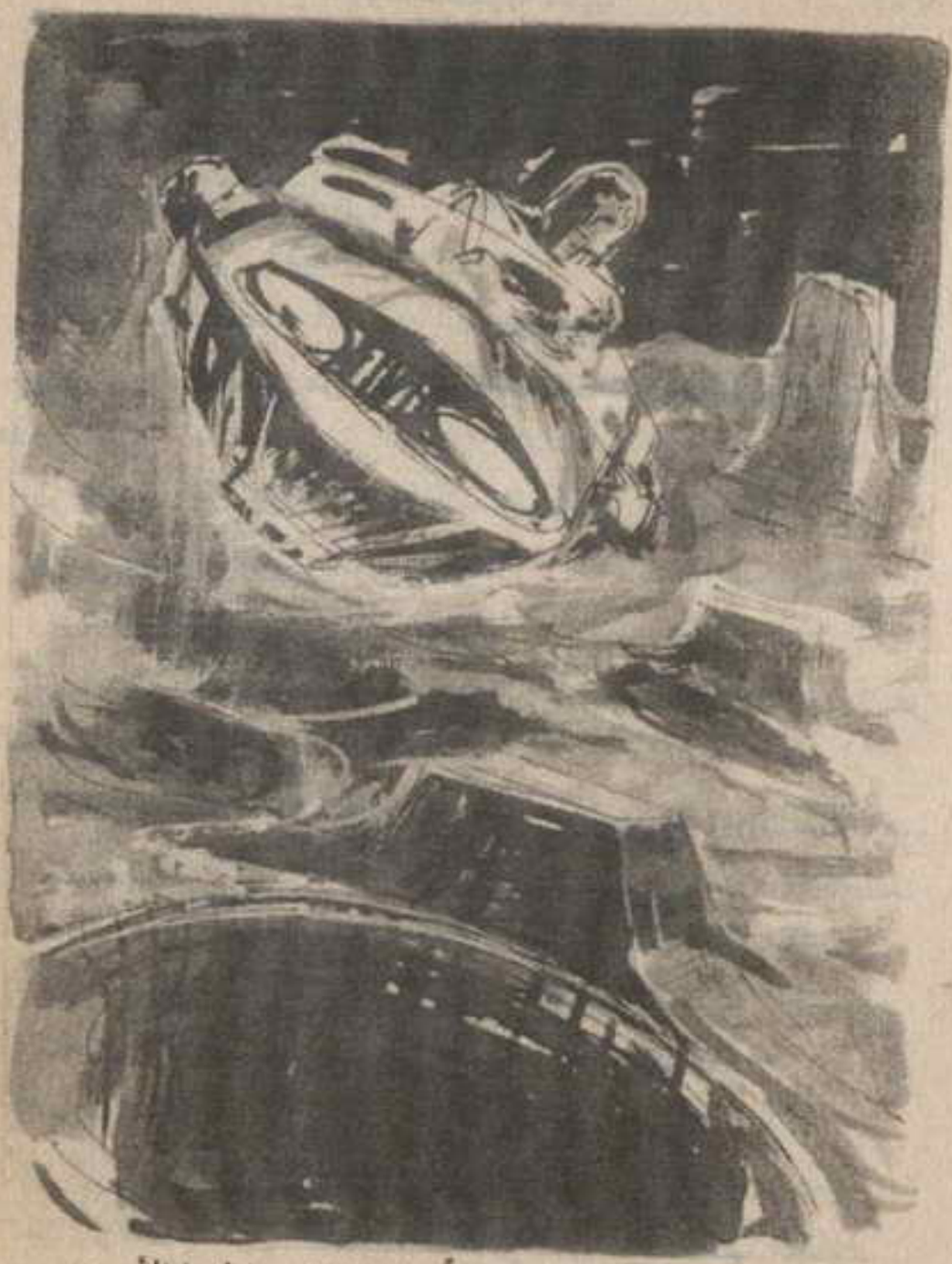

دار (رأفت) حول الفتحة محدقًا بإمعان فى باطنها الأسود ..

فوق حافة الفتحة بالضبط ..
وبدأ الطاقم الفنى فى العمل على الفور ..
واصطحبه المرشدان السياحيان إلى داخل الخيمة ..
لمقابلة والدى الطفل ..
كانا جالسين .. ووجهاهما ينطقان بالحزن .. والأسى ..
ويبدو أن عقليهما تقبلا بسرعة فكرة أن ابنهما ..
ربما يكون قد فقد إلى الأبد !
وتحولت إجازتهما التى انتظراها طويلاً ..
إلى كابوس مخيف جثم على صدريهما !
لكن كوكب القبور الصامتة ..
لم يكن كوكبًا عاديًا ..
فقد كان (رأفت) يعرف جيدًا .. أنه يوجد تحت سطحه العلوى ..
مستويات .. ومناطق من المجالات المغناطيسية ..
يمكنها التقاط أى أجسام ساقطة .. ونقلها بوداعة ..
بطول أنفاق .. ودهاليز تبلغ مئات الكيلومترات ..
إلى أماكن من الكوكب أكثر عمقًا ..
لا يعرف عنها أحد أى شىء !
وكانت مهمة المرشد (رأفت) .. هى الاتصال بالصبى (سمير) ..
إذا كان حيًا ..
واستغلال الطاقة المغناطيسية فى إعادته إلى سطح الكوكب ..

وكان الوقت ضيقًا .. وثمينًا ..
ولم تكن المشكلة فى البرودة القارصة .. ونقص الهواء الشديد ..
فى الأعماق البعيدة ..
وإنما كان هناك خطر أكبر من ذلك !
فأسفل المناطق التى استطاع الإنسان الوصول إليها ..
كانت توجد بعض الكائنات الغريبة تعيش فيها ..
فى حياة وحشية رهيبة ..
لم يرها سوى رجل واحد .. عاش طويلاً فى أماكن عميقة من هذا الكوكب ..
ثم نقل رسالته المخيفة ..
بوجود هذه المخلوقات المرعبة !

ـ ٢ ـ

أدرك (رأفت) أنه لا يوجد مبرر لبقاء والدى الصبى هنا ..
فقال لهما وهو يفرد خريطة كبيرة للمنطقة على المنضدة :
ـ لماذا لا تعودان إلى الفندق ؟
أجابه والد الصبى دون تردد :
ـ إننا نفضل البقاء !
هز (رأفت) كتفيه وقال :
ـ استمعا إلىَّ جيدًا .. إن عملية الإنقاذ سوف تستغرق وقتًا طويلاً .. وربما أفشل فى مهمتى !

وبينما كان يتحدث مر بأصابعه على رسم لشبكة متداخلة من السراديب .. والدهاليز ..
والحجرات والأنفاق الرأسية التى توجد تحت أقدامهم ..
ولاحظ الحزن المرسوم على وجه الأم الشابة ..
التى جلست تراقبه من خلال عينين مغرورقتين بالدموع ..
نهض (رأفت) من جلسته وقال :
ـ إن هذا ليس الوقت المناسب لإخباركما ! ولكننى سأكون صادقًا معكما !
لقد هبطت عشرين مرة فى فتحات مثل هذه ! ونجحت مرتين فقط فى إنقاذ من سقط !
تريث لبرهة ثم استطرد قائلا :
ـ ... إن بعض الفتحات تصل فى العمق إلى ما نسميه منطقة (يوبا) .. أى السطح الأصلى للكوكب .. وقد أطلق عليها اسم أول كائن غريب استقر هنا .. فإذا كانت هذه الفتحة واحدة منها ...
بكت الأم بطريقة صامتة .. وهى تسيطر على نفسها .. بشكل يدل على المجهود الذى بذلته لكى تظهر فى هذه الصورة ..
أومأ الأب برأسه .. وابتلع لعابه بصعوبة ..
شعر (رأفت) بالأسى نحوهما .. ولكنه حاول ألا يبدو على وجهه ما يعبر عن أى شعور ..
كان عليه أن يظهر كصخرة قوية .. يضع عليها الأب والأم آمالهما فى إنقاذ ابنهما العزيز ..

تساءل (رأفت) ليقطع الصمت الثقيل :

ـ هل قدرة (سمير) على السمع عادية ؟

أجاب الأب بسرعة :

ـ كلا ! إنه أصم تمامًا ! وهو يستخدم وسيلة مساعدة سمعية !

أمسك الأب بلوحة معدنية صغيرة .. كانت هى وسيلة الاتصال السمعية الإلكترونية مع الصبى ..

وكانت مؤلفة مع جهاز استماع دقيق .. مثبت فى جمجمة الصبى الأصم ..

بحيث يمكن للأب التحدث مع الابن .. يبعث الرسائل مباشرة إلى العصب السمعى الاتزانى فى جذع المخ .. الذى يسيطر على حاسة السمع ..

ووجد (رأفت) أنه لا توجد أى طاقة فى الجهاز ..

وأنه عاطل عن العمل .. أى أن الاتصال بين الوالد والابن .. متوقف بتأثير إحدى مناطق الطاقة .. تحت سطح الكوكب !

★ ★ ★

بدا أن الأمر سوف يزداد صعوبة ..

فالصوت ينتقل جيدًا خلال الدهاليز .. والممرات السفلية ..

وهو الطريقة الوحيدة التى يمكن بها لـ(رأفت) إنشاء اتصال بأى جسم ساقط ..

لا يزال حيًا .. وقادرًا على الصياح طلبًا للنجدة ..

لكنه الآن يبحث عن طفل أصم تمامًا ..

ولا شك أنه لا يصدر أى صوت .. طالما أنه فى حالة خوف أو ذعر !

مالم يتمكن جهاز الاستشعار عن بُعد الحرارى لدى (رأفت) .. من التقاط الأشعة الحرارية الناتجة عن نشاط جسم الصبى (سمير) ..

فإن محاولة الإنقاذ .. لن تنجح أبدًا !

درس (رأفت) خريطة المنطقة بالتفصيل ..

ووجد أن الفتحة التى سقط فيها الصبى ..

موجودة بين جدارين بارزين هائلين .. لمقبرتين .. منفصلتين تمامًا ..

كانتا مكان إقامة الكائنات الغريبة التى اختفت من مجرة (الطريق اللبنى) ..

منذ أكثر من مليون عام مضت ..

ومن كل مقبرة منهما .. تشعبت مجموعة من الدهاليز فى اتجاهات مختلفة ..

يفضى أحدها إلى القاعة الهائلة .. ذات الإضاءة الرائعة ..

التى أطلق عليها (القاعة الكونية) وعاش فيها أكثر من مائة نوع مختلف ..

من الكائنات العجيبة البشعة !

★ ★ ★

إذن هذه الفتحة تهبط رأسيًا بين شبكتين .. معقدتين من المقابر المعروفة ..

وسوف يكون الأمر صعبًا فعلاً !
ثبّت (رأفت) قناعه فى مكانه ..
وضبط جهاز إرساله مع جهاز استقبال والد الصبى ..
على أمل أن يحدث اتصال مفاجئ بينهما ..
سار وقلبه يدق بعنف .. وهو يستعد الآن للبدء فى رحلته المجهولة ..
إلى الأعماق .. حيث الأسرار والغموض !
اتجه إلى الفتحة .. وحدّق فى داخلها للحظة خاطفة ..
لكنه لم ير سوى الظلام .. والعدم ..
وتعجب ما إذا كان (سمير) الصبى الصغير .. يتحرك هناك ..
على عمق كيلومترات كثيرة .. بين الكائنات الغريبة !
وبينما هذه الفكرة تجول بخاطره ..
خطا إلى الأمام داخل الفراغ ..
ولم يلبث أن اختفى عن الأنظار !

- ٣ -

فتح (سمير) عينيه .. وأحس بنفسه يطفو ..
ذراعاه ممدودتان .. وجسده مسترخ تمامًا ..
كان يحدّق فى ضوء بعيد .. ولكنه يهبط مبتعدًا عنه ..
تدافع التراب من حوله .. وأحس بلمسته الرقيقة على جسمه ..
كانت لحظات الخوف .. والرعب فظيعة جدًا .. لدرجة أنه فقد وعيه ..

والذكريات المفاجئة لسقوطه .. جعلت جسده يلتف كالكرة ..
بيد أنه استعاد استواءه تدريجيًا !
تذكر أنه فى لحظة ما .. كان يسير بين والديه على طول قمة قبر قديم .
كان منصتًا للإيقاعات الذهنية لوالده ..
وهو يتحدث عن المخلوقات الغريبة .. التى شيدت قبورها الأثرية .. على هذا الكوكب ..
وبينما كان والده يتحدث .. ابتعد (سمير) وهو منبهر بالنقوش الغريبة التى شاهدها .. على جدار صخرى منخفض .. لغة عجيبة عمرها ملايين السنين !
وبعد لحظة واحدة .. لم يعد هناك وجود للأرض .. التى كان واقفًا عليها ..
التوى جسده .. ودارت رأسه بشدة ..
وهو يغوص باستمرار .. وسط الظلام الحالك !
اتجه إلى أسفل .. وهو يشعر بأنه كالريشة .. إذ تخيل أنه يسقط ببطء ..
واختفت الإيقاعات الذهنية لأبيه .. مما زاد من رعبه ..
حاول أن يدق على رأسه فى المكان الذى يوجد فيه جهاز الاستماع الدقيق .. داخل مخه ..
لكن بدا وكأن يديه تتحركان فى وسط هلامى كثيف ..
شعر بأنه عاجز تمامًا .. فأخذ يحدق إلى أعلى فى النقطة المضيئة البعيدة ..

كان الصمت مريعًا ..

وشعر (سمير) برغبته فى الصراخ كما كان يفعل وهو طفل صغير ..

عندما كان هناك صمت مرعب مثل هذا ..

وقبل أن تبدأ الإيقاعات الذهنية المطمئنة من والديه ..

تحدث أصواتًا داخل جسده ..

فجأة .. أصبح الضوء خافتًا جدًا ..

واستطاع رؤية الجدران الصخرية المصقولة للحفرة العميقة ..

تندفع لأعلى تجاهه .. ووضحت بعض الشقوق .. والتصدعات بها ..

شعر بالغثيان بعدما أدرك مدى سرعة سقوطه ..

وعندئذ حدث أمر غريب جدًا !

إذ أحس بأيد كثيرة تلمس جسده ..

بدا أنها تقبض عليه كله .. وتدثره ..

وهو يهبط إلى أسفل .. إلى أعماق كوكب القبور الصامتة !

لم يعد يسقط حرًا ..

بل كان هناك من يحمله .. وينقله بسرعة هائلة ..

فى ممر طويل مقوّس ..

وأصبح الضوء قويًا .. لكنه لم يعد يشاهد أى شقوق أو تصدعات عميقة ..

فى الجدران العالية ..

وفجأة .. توقفت حركة (سمير) .. وترنح على إفريز ضيق ..

ثم تشبث فى الجدار الصخرى البارد ..

فاتحًا فمه .. ولكن دون أن يهمس ببنت شفة ..

وإلى جانب الإفريز الضيق .. امتد البئر إلى أعماق لا يتصورها أحد بأسفل ..

وقف (سمير) عند مدخل دهليز شبه غارق فى الظلام ..

يبتعد عن الأنظار فى مسار منحن ..

تحرك بخطوة مترددة إلى الأمام .. داخلاً فى الضوء .. فى الدهليز ..

ووجد نفسه مجبرًا على التحرك من جراء الإحساس المتزايد لديه بالإيقاع المنتظم ..

الذى كان يملأ جوانحه ..

اندفعت إليه أحاسيس كابوسية كالتى كانت تطارده أحيانًا ..

عندما يتوقف جهازه السمعى المخى عن العمل ..

فكر فى نفسه :

ـ هناك فى الإيقاعات النابضة إحساس بالتلون .. والارتفاع .. والانخفاض ..

مثل ذبذبة التنفس !

كان حوله بحر من الصوت الذى يمكن أن يشعر به .. لا أن يسمعه ..

برغم أن نبرات موسيقى هذا الصوت كانت غير مفهومة لصبى فى الثانية عشرة من عمره ..

إلا أن (سمير) بدأ يدرك .. أنها إحساس بصوت غريب داخله .. شىء ما كان يتحدث إليه .. يناديه .. يحتاج إليه !

★ ★ ★

تبدد الخوف الآن من قلب (سمير) .. وسار بجوار حافة جدار الدهليز ..

محدقًا بإمعان فيما حوله ..

وفجأة .. استدار الدهليز عند أحد الأركان ..

وأفضى إلى قاعة ضخمة .. أضيئت جدرانها الحجرية العالية بالضوء الساطع ..

من مئات الأجسام البللورية المعلقة فى السقف ذاته ..

فغر (سمير) فاه .. وهو ينظر إلى أعلى محاولاً التوقف ..

لكنه لم يستطع مقاومة الدفع الرقيق الذى كان يوجهه إلى داخل القاعة ..

ليسير بين صفوف الموتى !

ـ ٤ ـ

كان هذا المكان يشبه الدهليز الذى رآه مع والديه ..

حيث دفن فيه أجساد الملوك والملكات الغرباء .. القدماء ..

بقيت .. وحفظت إلى الآن .. داخل قبورها .. فى أماكن دافئة مضاءة .. من هذا الكو كب !

لكن (سمير) لم يشاهد أبدًا أى مخلوقات عملاقة أو بشعة كهذه ..

بدا أن أحدها يراقبه وهو يسير ..

مخلوق مجنح ذو وجه ملىء بالقشور الرمادية ..

وبرزت عيناه الكفيفتان من طيات وجهه المخيف ..

بينما تهدلت ساقاه المتهالكتين .. أسفل جسده المنتفخ !

كان الجسد كله موضوعًا فى غلاف مائع ..

داخل نعش بللورى تنبض منه الأضواء القوية !

ازداد الصخب فى بحر الصوت الغريب ..

وزادت شدة الصوت الذى يدفعه .. ويناديه ..

الصادر من مكان ما .. على البعد !

★ ★ ★

أراد (سمير) أن يركض إليه ..

لكن خوفه من الأشكال الغريبة للكائنات حوله ..

جعله يحاذر فى كل خطوة يخطوها ..

ويمعن النظر فى كل وحش يقابله .. بعينيه اللتين اتسعتا من الدهشة ..

سأل نفسه :

ـ على أى كوكب تعيش هذه الكائنات المجنحة العملاقة ؟

وفى مكان آخر من القاعة .. حدجت ناحيته الكائنات التى تشبه الضفادع الضخمة ..

بينما تدلت أسفل أجسامها .. ثمانية سيقان مغطاة بشعر صلب كثيف ..

تزحزحت الأعضاء العضلية لتلك المخلوقات المرتعشة ..

داخل السائل الهلامى ..

وبدا له كما لو كانت تحاول حفر طريق لها ..

إلى خارج قبورها الزجاجية !

وبسرعة وصل (سمير) إلى نهاية هذه القاعة الضخمة ..

ودلف إلى داخل ممر يشبه الأنبوبة العملاقة ..

اضطر أن يحنى رأسه .. وهو يسير داخلها ..

محدقًا فى الكوّات الزجاجية التى فى الجدار ..

حيث توجد بها صناديق متوهجة .. تنتظر أن يمسك بها ..

وكان ضوءُها أخضر غريبًا ..

وعندما لمسها .. تذبذبت .. ورأى داخل عقله صورًا حية لكوكب ساطع ..

اكتسحته الرياح .. وتعيش عليه مخلوقات رقيقة .. تحوم حول صخور وضاءة ..

حتى يحين الوقت الذى تضع فيه عقولها .. وذكرياتها .. فى هذه المكعبات الزمردية ..

لكى تحفظ فى كوكب القبور الصامتة !

شعر (سمير) بالمتعة والنشوة .. وهو يخترق ممر الأحلام المشرقة ..

ولمس صندوقًا هنا وهناك .. وامتلأت خلجات نفسه بالسرور .. والبهجة ..

كم أراد (سمير) أن يصرخ فى كل تلك المخلوقات ..

لكى يسألها :

ـ من أنتم ؟

وأن يسمع إيقاعات إجاباتها عليه ..

ربما وجدت فى مجرة (الطريق اللبنى) منذ ملايين السنين ..

وزحفت إلى هنا لكى تموت ..

وبعد هذا الدهليز الذى يحف بالكائنات .. كان هناك مكان تتراقص .. وتتمايل فيه الألوان الغامضة فى الهواء .. فوق رأسه ..

وتلمسه بخفة .. بحيث وخزت جلده ..

وتمكنت عيناه من رؤية أوطان هذه الكائنات ..
نجوم .. ومجرات .. وسدم .. ودوامات كونية ..
وأحس أنه لأول مرة .. يقف هنا صبيًا مرتعد الفرائص ..
يحدق فى دهشة .. فى كل ما يمكن للعين البشرية أن تراه ..
من هذه الكائنات النبيلة !

* * *

استمر (سمير) شاعرًا بالصوت الذى يناديه ..
وازدادت شدته حتى أصبح الآن فى رأسه ..
كصوت تنفس عملاق !
سار بسرعة تجاه مصدره ..
وتذكر قصة رواها له والده .. فى أول يوم من إجازتهم عن كوكب القبور الصامتة ..
وتأكد بأن القوة الخفية المروّعة ..
التى ذكرها له والده ..
كانت هى التى تنتظره .. فى مكان ما .. أمامه ..
بعد عدة دهاليز .. وسراديب !
كان (سمير) يسير وسط الظلام .. دون خوف ..
ويحس بطريقه .. بجانب الجدار المتعرج البارد للممر ..
وشعر بتساقط سائل رطب دبق .. من السقف ..
على يديه المكشوفتين ..
وتذكر فى عقله صوت والده .. وهو يحدثه بأسطورة (اليوبا) الرهيبة !

- ٥ -

قال له والده .. عبر الجهاز السمعى المخى :
- (اليوبا) كانت قوة قديمة .. روحية أكثر منها مادية .. قدمت من أعماق بعيدة فى الكون .. واستقرت فى مجرتنا (الطريق اللبنى) .. كانت عبارة عن مسافرة فى الفضاء .. لكنها عجوز .. ومنهكة .. ووحيدة ! واقتربت جدًا من كوكب القبور الصامتة .. بحيث دخلت فى أسر قبضة مجاله المغناطيسى العنيف .. وقبعت على سطح الكوكب .. ثم أخذت تنتشر حتى أصبحت موجودة فى كل ذرة من مادة هذا الكوكب .. استقرت ولم تمت ! ثم ولدت الحياة فوق الكوكب فى شكل زواحف ضخمة .. اضطرت للبناء بغريزتها .. وحفرت سطح الكوكب .. وشيدت أول مقابر .. مثل مقابر قدماء المصريين على كوكب الأرض !

تريث والده للحظات ثم قال :
- ... وأيقظ هذا النشاط (اليوبا) .. فهبت لتؤثر فى عقول الزواحف بإرادتها الجبارة الذاتية .. وجعلتها تبنى مقابرها على نمط معين .. ولم تكن تدرى بما يحدث لها بالطبع .. وكل ما فى الأمر أنها كانت تعمل بتأثير هذه القوة المحرضة !

صنعت فتحات وهوّات عميقة فى قشرة الكوكب .. وهذا النمط من تشييد القبور بعث الحياة فى (اليوبا) لدرجة أنها دخلت فى جنس الزواحف كله .. وسيطرت على تفكيرها ..

وأعطتها الإيحاء بترك كوكب القبور الصامتة .. والانتشار بين النجوم !

وطوال ملايين السنين .. انتشرت (اليوبا) العجيبة .. من كوكب إلى آخر لتغزو عقول الكائنات الحية الغريبة فى كل مكان .. وتعطيها حافزًا لكى تذهب إلى عالم القبور هنا .. لكى تموت فى سكينة !

صمت والده ثم استطرد قائلاً .. وصوته يرن داخل جمجمته :

ـ ... وفى غضون ملايين السنين .. قامت كائنات من كل المجرات .. بدفن موتاها فى هذا الكوكب .. وبناء المقابر الجديدة فوق المقابر الأثرية القديمة .. بحيث إن الكوكب .. اتسع قطريًا .. وتغير شكله تمامًا ! وتخبرنا الأساطير أن (اليوبا) مازالت موجودة فى أعمق أعماق الكوكب .. على مسافة عشرين كيلومترًا .. إلى أسفل ! تنتظر بلا هدف .. وهى وحيدة .. وحزينة !

★ ★ ★

عرف (سمير) الآن أن (اليوبا) هى التى تناديه ..

وأمكنه أن يحسّ بوحدتها المروّعة .. وسنوات حبسها الطويلة ..

وفرحتها لمعرفة قرب أحد أشكال الحياة ..

مهما كان صغيرًا منها ..

لكى يتحدث معها ..

ثم قبع (سمير) فى المدخل الضيق لممر معتم ..

ليس به أى أثر لضوء فى الطرف الآخر منه !

وشعر بشىء ما يدفعه .. ويضطره إلى التقدم للأمام ..

كان بحر الصوت النابض فى رأسه .. عاليًا .. صاخبًا ..

وتقترن به صور من خلفية مضاءة بلون أحمر .. كالدم ..

وقمم عالية من صخور محفورة .. ووهج ساطع لمدن طال اختفاؤها ..

خاف (سمير) من ظلمة الممر ..

لكن (اليوبا) كانت تنتظره فى الطرف الآخر .. بلهفة ..

وكان مضطرًا أن يتقدم إلى الأمام ..

لمصير مجهول !

★ ★ ★

بدأ يسير بحذر .. شاقًا طريقه .. وسط الظلام الحالك ..

وازدادت شدة الصوت الصاخب فى رأسه ..

مع كل خطوة يخطوها ..

إنه تنفس المخلوق الهائل ..

وكان اضطراره للتقدم يشبه يدًا قوية تسحبه إلى الأمام ..

بدت جدران الممر ذات شكل طيات باردة الملمس .. ورطبة ..

ووجد على الأرض أجسامًا كثيرة .. لم تلبث أن تبعثرت بعد أن ركلها بقدمه ..

وعندما انحنى لالتقاط أحدها .. دهش لنعومتها ..

كانت مثل أسطوانة خشبية طويلة .. ملساء ..
بأشكال مختلفة .. وبأعداد هائلة على أرضية الممر !
فجأة شاهد (سمير) على البعد .. ضوءًا برتقاليًا غريبًا ..
ينبض بنفس الإيقاع العقلى للصوت الغامض الذى يناديه ..
داخل عقله !
وأمره هذا الضوء ألا يخاف ..
وبرغم رعبه من فكرة .. ما يمكن أن يراه ..
فقد خطا خطوة جريئة إلى الأمام ..
يحدوه الأمل .. أن يرى الكائن العظيم الذى شيد كوكب القبور الصامتة !

- ٦ -

ازداد حجم الضوء وليس شدته ..
تقدم (سمير) ببطء .. حتى وقف على آخر حافة شق هائل ..
اتفتح الممر إلى داخله ..
وأمكنه أن يرى بصعوبة .. خلال الضوء الضعيف ..
منات من الأفواه المستديرة المعتمة ..
وفتحات لكثير من الممرات الأخرى .. فوقه وأسفل منه ..
كان الشق مغطى بأشكال رمادية صغيرة .. عالقة فى الفضاء ..
كالشعيرات الدقيقة !
وداخل هذا الخواء الهائل .. كان بحر الصوت ينبض ثم يذوى ..

إلا أن إحساس المناداة اختفى تمامًا !

★ ★ ★

ضيق (سمير) فتحتى عينيه ..
وحدق بهلع فى الممر الممتلئ بالعظام .. والجماجم .. المبعثرة فى كل مكان ..
ثم أحس بذبذبة مختلفة مثل خفقات الأجنحة ..
شعر بها جلده .. بعدما خفق الهواء وتحرك ..
فاستدار بسرعة .. عائدًا إلى الشق !
كان هناك وجه بشع ذو أسنان حادة يحدق فيه ..
على مسافة لا تتعدى مترًا واحدًا منه !
خمس عيون متقدة تشبه الماس ..
تلألأت وهى تنظر للصبى ..
وانفتح فى وسط الوجه الرهيب .. فتحتان حمراوين متوهجتين ..
ثم انغلقتا وسط مادة لزجة .. شفافة ..
فجأة .. انقشع جدار الشق واختفى ..
وفصلت الأجسام التى تشبه الشعيرات الدقيقة نفسها ..
فى مجموعة سوداء هائلة ..
ثم اندفعت كالسيل تجاه الممر ..
الذى يكمن فيه (سمير) فى رعب صامت .. وعيناه تتسع فى فزع ..

كان هناك وجه بشع ذو أسنان حادة يحدق فيه ..

وهو يراقب هذه المخلوقات الكريهة .. الخفاشية ..
وهى فى طريقها .. للانقضاض عليه !
ثم غمر المكان ضوء ساطع يعمى الأبصار ..
وامتدت يدان قويتان ناحيته .. وجذبتاه بقوة ..
لكنه قاومها .. متخيلاً أسنان الكائنات وهى تنهش فى عنقه .. وأطراف جسده ..
لكن القبضة كانت قوية جدًا ..
بحيث سحبته إلى الوراء .. بامتداد الممر ..
استطاع أن يرى أخيرًا .. بعد أن اختفى الضوء الشديد ..
وأصبح متأكدًا أنه محمول على كتف رجل !
كان الصمت تامًا !
والآن ! ذهب من عقله صوت (اليوبا) ..
لكنه رأى أسراب الأجسام الغريبة للمخلوقات الطائرة ..
تطاردهما بطول النفق ..
ثم وجد نفسه يخرج بسرعة من الشق ..
رفع بصره إلى الرجل ذى الخوذة الشفافة الذى يحمله ..
وقرأ اسم (رأفت واصف) مكتوبًا على جيب سترته ..
ضغط الرجل على ذراعه .. وغمز له بعينه !

* * *

بدا أن رحلة العودة إلى الهوة الرئيسية ..
سوف تستغرق دهرًا بأكمله ..

ورقد (سمير) بوداعة بين ذراعى الرجل ..
ورأى الاتساع التدريجى نحو الخارج ..
والحركة العنيفة لمنقذه .. وهو يشق طريقه الملتوى ..
بين الأشكال السامقة للنعوش البللورية .. والأعمدة الحجرية ..
وهو راجع إلى الأمان ..
لعل (سمير) فقد وعيه .. أو خلد إلى النوم ..
أو استكان خائفًا فى حضن الرجل المرشد ..
لأن ذهنه أصبح خاليًا تمامًا من الأفكار ..
لكن سرعان ما شعر بإحساس بالغثيان ..
للصعود السريع إلى أعلى ..
وشاهد الضوء فوقه .. وأمكنه تمييز الجدران الحجرية ..
لهوة تغوص بسرعة إلى أسفل !

ـ ٧ ـ

فى اللحظة التى خطا فيها (رأفت) إلى داخل الجناح ..
كان (سمير) راقدًا فى سريره .. وبدأ يلوّح له فى ابتهاج ..
وكذلك ابتسم والداه فى سعادة .. وفرحة ..
ذرع (رأفت) الحجرة إلى السرير .. وانحنى لكى يمكّن (سمير) من حضنه ..
ليلة الأمس كان وقت الشكر على فرحتهم العارمة ..
أما الآن فقد جلس الأب والأم .. يحدقان فى طفلهما الوحيد ..
الذى اعتقدا أنهما لن يرياه ثانية !

وحدّق فيه (رأفت) أيضًا ..
فقد كان (سمير) هو الذى دفعه لهذا البحث الممتع ..
ودفعه إلى مكان فى العالم السفلى .. لكوكب القبور الصامتة ..
لم يتصور أنه قد يراه يومًا ما !

★ ★ ★

قال (رأفت) للصبى .. وهو يعلم أن والده يغذى كلماته إلى (سمير) من خلال جهازه السمعىّ المخى :

ـ إنك لم تكن مجرد سبب لنا للعمل ! بل لقد أعطيتنا غذاء للفكر !

ابتسم (سمير) .. لقد وصف فى الليلة السابقة كل ما حدث فعلاً ..

وأحس بكل شىء ..

وشرح (رأفت) الموقف لوالد (سمير) :

ـ لم نكن نتصور أن الأعماق البعيدة للكوكب .. تحتوى على هذه التشكيلة الهائلة من المخلوقات الموجودة فى الدهاليز .. إنها مقبرة كونية جبارة ..

تريث (رأفت) لبرهة ثم استطرد قائلاً :

ـ ... لكن يوجد لغز كبير ! هو شىء يتعلق بتجربة صوتية مر بها (سمير) !

قال الوالد :

ـ لقد أطلق عليها بحر الصوت .. كان مثل صوت يناديه داخل عقله .. صوت وحيد .. خائف !

نظر (رأفت) إلى والد (سمير) وأومأ برأسه ببطء وقال :

ـ أول رجل رأى المخلوقات التى كادت تقتل (سمير) وقع ضحيتها .. لكنه تمكن من وصف إحساسه بالأيدى التى تجذبه خلال الممرات قبل أن تقضى عليه ..

وذلك عن طريق جهاز اتصال .. ولكنه لم يذكر شيئًا عن الصوت الداخلى ..

صوت التنفس العملاق .. ولا عن صور الخلفية المضاءة بلون أحمر .. ولا عن شعوره بأن (اليوبا) كانت تناديه !

قطّب الوالد جبينه ونظر بسرعة إلى ابنه المبتسم وقال :

ـ أتعنى أن (سمير) هو أول إنسان .. تلقى نداء (اليوبا) ؟

أطرق (رأفت) برأسه .. وقال وهو مستغرق فى التفكير :

ـ لعل هذا المخلوق القديم .. ينادى دائمًا .. يشكو وحدته .. وعذابه .. لكن الصدفة هى التى وضعت (سمير) فى ذلك الممر .. وأجنحة الخفافيش العملاقة سكنت الشق الضخم .. الذى يعد الطريق إلى أسفل .. إلى منسوب أعمق حيث يوجد المخلوق ذو الذكاء الكونى الخارق !

ثم ابتسم ونظر إلى والد (سمير) .. وأضاف بلهجة أقرب إلى التمنى :

ـ ... وعمومًا فإن الرحلة التالية إلى أعماق كوكب القبور الصامتة .. سوف تضع النقاط على الحروف .. وسأقود هذه الرحلة بنفسى !

★ ★ ★

سلسلة **نوفا** للخيال العلمىّ

كأس .. من السم !

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٣٧٠٠٢

بعد يومين من اصطدام سفينة الفضاء ..
بالقطب الشمالى لكوكب المريخ ..
ألقت قوات الشرطة المحلية ..
القبض على رائد الفضاء (شريف رضا) ..
المسئول عن ذلك !
وكانت المحاكمة سريعة ..
وقال القاضى وهو يصدر الحكم :
ـ نظرًا لأنك تسببت فى موت عشرين مواطنًا مريخيًا ..
بوساطة سفينتك الفضائية .. فقد أثبت أنك تحتقر الحياة ..
ولا تصلح للبقاء فى المجتمع .. سوف تسجن لمدة ثلاثة عشر
يومًا .. ثم يعلن موتك .. وتنقل فى النهاية عندما تتوقف كل
علامات الحياة فى جسمك !
سأل (شريف) محاميه المريخىّ :
ـ هل تعتقد حقيقة أننى سوف أقتل نفسى ؟
تريث المحامى قليلاً ثم أجابه قائلاً :
ـ يمكنك أن تتبرع بجسدك .. إلى بنك الأعضاء .. كما يفعل
الكثيرون .. وأجزاء جسمك قد تكون مفيدة لنا .. ولكن تصرفك
هذا .. سوف يعبر عن رغبتك فى التكفير عن ذنبك ! أو قد
تفضل أن تنتحر بشرب هذه الكأس .. من السم !
تجهم وجه (شريف) وقال :
ـ وإذا رفضت كأس السم الذى تعرضها هذه ! هل سوف تصبها
فى حلقى بالقوة ؟

هز المحامى المريخىّ رأسه الضخم وقال :
ـ المريخ كوكب متحضر ! لن يلمسك أحد بهدف إيذائك !

★ ★ ★

وبخلاف الباب والنوافذ ذات القضبان الحديدية ..
كانت الزنزانة تشبه كثيرًا .. جناحًا فى أحد المستشفيات ..
بدت مريحة .. بأثاث مثل الذى فوق كوكب الأرض ..
وقدمت لرائد الفضاء (شريف) وجبات غذائية ممتازة ..
الشىء الوحيد المزعج .. والمخيف .. بالزنزانة ..
كان المنضدة المعدنية الصغيرة ..
التى تحمل كأسًا .. بها سائل كهرمانى اللون ..
كأس السم !
وقرر رائد الفضاء (شريف) أن ينتظر .. ويصبر ..
برغم رفض كل دعاوى الاستئناف ..
التى قدمها عن طريق محاميه المريخىّ ..
ولكن عندما اقترب اليوم الثالث عشر لسجنه ..
أصبح (شريف) عصبيًا .. ومتوترًا ..
بيد أن اليوم الأخير مضى كسابقه تمامًا !
ولم يرسل أحد غازًا قاتلا من الفتحات ..
أو يصب السم فى حلقه !

★ ★ ★

وقرب المساء .. ضحك فى نشوة النصر ..
وأمسك بكأس السم ..

وركض بها فى أنحاء الزنزانة ..
وألقى بمحتوياتها على الجدران !
ثم بدأ (شريف) يتعجب :
ـ لماذا تأخرت وجبة العشاء ؟
إذ تعدى الوقت الميعاد المعتاد ..
لوصول وجبات طعامه ..
وحاول إضاءة الأنوار ..
لكن الغرفة ظلت معتمة !
فجأة .. شعر بالخوف ..
اندفع ناحية صنابير الماء ..
لكن برغم أنه فتحها عن آخرها ..
لم يسقط منها إلا بعض قطرات متباعدة ..
هرع إلى باب الزنزانة .. ودق عليه .. وصرخ بقمة انفعاله :
ـ أريد أن أرى محامىَ !
لكن لم يحضر أحد .. وتذكر (شريف) كلمات القاضى الذى أصدر عليه الحكم :
ـ ... ثم يعلن موتك .. وتنقل فى النهاية عندما تتوقف كل علامات الحياة فى جسمك !
نظر إلى كأس السم الفارغة الملقاة على أرضية الزنزانة ..
واللطخ الجافة التى على الجدران ..
ثم ارتفعت التشنجات العنيفة .. إلى حلقه !

★ ★ ★

رقم الإيداع : ٤٠٦١

سلسلة نوفا للخيال العلمى

قصص من عالم الغد

★★★★

أبناء الشمس

تحتوى هذه المجموعة الجديدة من سلسلة (نوفا) على رواية طويلة وخمس قصص قصيرة من الخيال العلمى تزخر بالأحداث المستقبلية الغامضة والمغامرات المثيرة فى إطار علمى فريد .

- كابتن الفضاء يواجه أبناء الشمس مع الروبوت (فهد) والكمبيوتر الطائر فى واحدة من أروع مغامراته .
- مواجهة بين رواد الفضاء والتماسيح الذكية فوق كوكب غامض .
- مغامرة مستحيلة فوق كوكب القبور الصامتة والأحداث الرهيبة التى تواجه رواد الفضاء .
- السر العجيب للرحيل العظيم .

وغيرها من قصص الخيال العلمى المثيرة التى يمكن أن تحدث فى عالم المستقبل .

المؤلف

رءوف مصطفى

فى هذا الكتاب

- أبناء الشمس ٥
- لغز كوكب التماسيح ٩١
- الرحيل .. العظيم ١١٥
- العودة .. من الجحيم ١٥١
- كأس .. من السم ١٨٩

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن فى مصر
١٥٠ قرشا
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية